الْقيمُ الْحَضَارِيَةُ فِي الْخِطَابِ الْقُرْآنِي " نَبِيُ اللهِ نُوحٌ عليه السلام أُنْمُوذَجًا " دِرَاسَةٌ مُقَارَنَةٌ بِالْحَضَارَةِ الْمُعَاصِرَةِ

أ.م. د. حمادة ربيع عبد الحكيم عبد الرحيم
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
قسم الدراسات الإسلامية . كلية الآداب . جامعة المنيا
hamada12@mu.edu.eg

الملخص:

القرآنُ الكريمُ هو كتابُ اللهِ تعالى القيم، وكتابُ الإنسانيةِ المفتوح، ومنهلِها المورودِ، مهما تباعدت الأقطارُ، وتتابعت العصورُ، وتعددت الأجناسُ والألوانُ، واللغاتُ، وتفاوتت المشاربُ والنزعاتُ. كما أنّ الرسالاتِ السماويةِ كلِها قيمُ حضارةٍ وتحضرٍ إنساني، جاءتْ لنفعِ البشريةِ، وتقويمِ سلوكِها؛ لمِاَ لها منْ أثرٍ في إصلاحِ الأحوالِ وتبديلِ العوائدِ. لذلك كانتْ الضرورةُ ملحةً إلى التخلقِ بهذه القيمِ الحضاريةِ، والعملِ بها، وخصوصًا العاملين في حقلِ الدعوةِ إلى اللهِ تعالى، وقد اشتركَ جميعُ الأنبياءِ والرسلِ في مجموعةِ هذه القيمِ الحضاريةِ، بدايةً منْ أبي البشرِ نوحٍ عليه السلام حتى خاتمِ الأنبياءِ والرسلِ ﷺ.

الكلمات المفتاحية:

القيم الحضارية، الصدق، الأمانة، الحكمة، الصبر، الوسطية، الإيجابية، العلم، التعايش السلمي.

المقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَعَالِي عَنْ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ، الْمُنَزَّهِ عَنْ وَصْفٍ يُدْرِكُ بِهِ حِسٌّ، أَوْ يَخْتَلِجُ بِهِ ضَمِيرٌ. أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَسْبَغَ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَأَبْلَغَ مِنْ دَقِيقِ حِكْمَتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ مُتَحَقِّقٍ لِعُبُودِيَّتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولُ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه، وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِين.

وبعد، فإنّ سير الأنبياء والمرسلين- عليهم السلام- تعد ترجمة عملية، وصورة حية لجميع التوجيهات الربانية التي أوحى الله بها إليهم، وقد تضمنت هذه التوجيهات قيمًا حضارية أخلاقية، واجتماعية، تهدف إلى إسعاد البشرية، وتحافظ على الفطرة النقية التي فطر الله تعالى عليها بني الإنسان، ولا غرو في ذلك، فكل الأنبياء والرسل- عليهم السلام- قد أرسلوا رحمة للناس، يقول تعالى على لسان نبيه شعيب: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**﴾(١). ويقول تعالى في شأن نبيه محمد ﷺ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(٢).

وفي عالمِ اليومِ تبرزُ الحاجة الماسة إلى المعرفة اليقينية الحقة بأنّ ما جاء به النبيﷺ هو عين ما جاء به جميع الأنبياء والرسل- عليهم السلام- فقد أرسلوا برسالة واحدة، جامعة لأصول الأخلاق والقيم، وهو ما يدعونا إلى معرفة هذه القيم الحضارية المدثرة في خطابهم الدعوي، بغية التأسي بهم والاقتداء بهديهم، من خلال الممارسة العملية لها على مستوى الفرد والمجتمع.

وذلك لأنّه حين تتحول سير الأنبياء والرسل- عليهم السلام- إلى سلوك، وعمل، وتأسي، فإنّها تعطي صورة حقيقية، ومشاهد واقعية لجوهر الرسالة التي أرسلوا بها إلى البشرية جمعاء.

هذه الرسالة التي تحمل قيمًا حضارية أرسل الله تعالى بها أنبياءه ورسله ليرسخوا معالمها، ويحددوا غاياتها، بعد اندثارها وتلاشيها، ذلك لأنّها: " الجوهر

والأساس الذي تقوم عليه أي حضارة، وفي ذات الوقـت تضمن سرَّ بقائها وصمودها عبر التاريخ والأجيال"(٣).

يقول تعالى في الدعوةِ إلى سلوكِ طريقِ أنبيائِه ورسله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾(٤).

ولما كان ذلك كذلك، فقد آثرت أنْ يكون موضوع بحثي عنْ القيمِ الحضاريةِ المتدثرةِ في خطابِ الأنبياءِ والرسلِ- عليهم السلام- مع أقوامهم، في محاولةٍ لإبرازِها، وبيانِ أهدافِها، ومقاصِدها، وغاياتِها، وتوثيقِ كل ذلك بآياتِ القرآنِ؛ لتكون نبراسًا للدعاة في كلِ زمانٍ ومكان. فكان هذا البحث بعنوان: **الْقيمُ الْحَضَارِيَةُ فِي الْخِطَابِ الْقُرْآنِي لِدَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْرُسِلِ" نَبِيُ اللهِ نُوحٌ عليه السلام إِنْمُوذَجًا "**

أولًا- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره في عدة أمور، منها:

- أنّه يبحثُ عن القيمِ الحضاريةِ في آياتِ القرآنِ الكريم، وهي التي يتوقف عليها بقاءُ الأممِ وارتقاؤُها، أو سقوطها وانحدارها، وخاصة في هذا الزمان الذي ضُيعت فيه القيمُ، وهُمشت فيه الآدابُ.
- أنّه يحاولُ استنباط القيمِ الحضاريةِ والسلوكياتِ الأخلاقيةِ والاجتماعيةِ للخطابِ الدعوي لنبيِ اللهِ نوحٍ عليه السلام، والتي تم هجرها من الدعاةِ إلى اللهِ تعالى في أيامنا هذه.
- التأكيدُ على أنّ القرآنَ الكريم هو الدستور الإلهي الذي يفيضُ بالمعالمِ الأخلاقيةِ الساميةِ، والقيمِ الحضاريةِ للدعاةِ بصفةٍ خاصةٍ، ولغيرهم بصفةٍ عامة.
- أخذُ العبرةِ والعظةِ من الخطابِ الدعوي لنبيِ اللهِ نوحٍ عليه السلام، مع قومه؛ ليكون ذلك قدوًة لمن تنتصبُ أقدامُه في حقلِ الدعوةِ إلى اللهِ؛ ولعل ذلك ما يفرضه واقعُ الدعوةِ والدعاة اليوم.

ثانيًا– أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

- بيان معنى القيم، وخصائصها، ومصادرها، ووسائلها.
- بيان مفهومِ القيمِ الحضاريةِ من خلالِ القرآنِ الكريمِ، وبيان أهدافِها، وغاياتِها السامية.
- عرض النموذجِ الحي من الخطابِ الدعوي لنبيِ اللهِ نوحٍ عليه السلام، في التعاملِ مع قومِه، وإظهار السمات والآداب التي تحلى بها نبي الله تعالى، ويجب أنْ يتحلى بها الدعاةُ إلى اللهِ تعالى.
- غرس القيمِ الحضاريةِ المثاليةِ في الدعاةِ إلى اللهِ تعالى؛ كي يكونوا مؤثرين فيمن حولهم؛ في محاولةٍ لتكوين مجتمعٍ إسلاميٍ متحلٍ بالمثلِ العليا، والأخلاقِ السامية، قائمٍ على حسنِ الفهمِ والإدراكِ الحقيقي للأمورِ.

ثالثًا– تساؤلات البحث:

للبحثِ عدةُ تساؤلاتٍ سوف يجيب عنها، هي:

- ما المقصودُ بالقيمِ الحضاريةِ في القرآنِ الكريمِ؟
- ما فوائدُ القيمِ في القرآنِ الكريمِ ؟
- ما القيمُ الحضاريةِ للخطابِ الدعوي لنبي اللهِ نوحٍ عليه السلام؟

رابعًا– الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي عن دراساتٍ سابقةٍ لموضوعِ القيمِ الحضاريةِ، لم أجد – في حدودِ علمي– غير دراسةٍ واحدةٍ جاءت تحت عنوان: **القيمُ الحضاريةُ في رسالةِ خيرِ البشرية**، للباحث: محمد بن عبدالله بن صالح السحيم، طبعة الرياض، ١٤٣٢هـ. وهذه الدراسة وإنْ تكلمت عن القيمِ الحضاريةِ، إلاّ أنّها قد خصت بها الرسول ﷺ، غير أنّها لم تتعرض لذكرِ نبيِ اللهِ نوحٍ عليه السلام من قريبٍ أو بعيد.

فَعَمَدْتُ – بعد توفيقِ اللهِ تعالى وعونِه – لدراسةِ هذه القيم الحضارية في الخطابِ القرآني لدعوةِ أبي البشرِ، نبيِ اللهِ نوحٍ عليه السلام .

خامسًا – منهج البحث:

تقتضي سلامة الوصول إلى نتائجَ سليمة؛ أنْ أتبع في بحثي هذا: المنهجَ الاستقرائيِ التحليليِ، المقترن بالمنهجِ الاستنباطيِ، الذي يعتمد على عمليةِ القراءةِ المتأنيةِ وتحليلِها، ومنْ ثَمّ استنباط الفوائد منها، بما يخدم خطةَ البحث، والذي تمثل في استخلاصِ واستنباطِ بعضِ القيمِ الحضاريةِ الخاصةِ بالخطابِ الدعوي لنبيِ اللهِ نوحعليه السلام والذي يتفق فيها مع إخوانِه منْ أولي العزمِ منْ الرسلِ – عليهم السلام–.

سادسًا – خطة البحث:

تحقيقًا للأهدافِ والغاياتِ المرجوةِ منْ البحثِ، فقد احتوى على مقدمةٍ، تناولت فيها: الأهميةَ، والأسبابَ التي دعت إلى اختيارِه، والأهدافَ المرجوةِ منْ دراستِه، والتساؤلات التي تدور حوله، والدراسات السابقةِ عليه، والمنهجَ المتبعِ للوصولِ إلى نتائجَ صحيحةٍ، والخطةَ التي سيقوم عليها، ثم جاء بعد ذلك التمهيد، تحت عنوان: **حقيقة القيم الحضارية عند نبِي اللهِ نوحٍعليه السلام**. والذي جاء **<u>في ثلاثة مطالبٍ</u>**، كالآتي:

- **المطلب الأول: تعريف القيم في اللغة والاصطلاح.**
- **المطلب الثاني: تعريف الحضارة والتحضر في اللغة والاصطلاح.**
- **المطلب الثالث: تعريف الخطاب في اللغة والاصطلاح.**

وأردفت ذلك بثلاثة مباحث، كالآتي:

- **المبحث الأول: التعريف بنبي الله نوحعليه السلام. <u>وفيه مطلبان:</u>**
  - **المطلب الأول: اسمُ نبيِ اللهِ نوحٍعليه السلام وأسرتُه.**
  - **المطلب الثاني: صفاتُ نبيِ اللهِ نوحٍعليه السلام ووفاتُه.**
- **أما المبحث الثاني: القيم الحضارية الأخلاقية في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍعليه السلام. <u>وفيه أربعة مطالب</u>:**
  - **المطلب الأول: قيمة الصدق في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍعليه السلام.**
  - **المطلب الثاني: قيمة الأمانة في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍعليه السلام .**
  - **المطلب الثالث: قيمة الصبر في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍعليه السلام .**
  - **المطلب الرابع: قيمة الحكمة في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍعليه السلام.**

- **والمبحث الثالث: القيم الحضارية الاجتماعية في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍ عليه السلام. وفيه خمسة مطالب:**
  - **المطلب الأول: قيمة العدل في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍ عليه السلام.**
  - **المطلب الثاني: قيمة العلم في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍ عليه السلام .**
  - **المطلب الثالث: قيمة الإصلاح في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍ عليه السلام.**
  - **المطلب الرابع: قيمة الوسطية في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍ عليه السلام.**
  - **المطلب الخامس: قيمة المواطنة في الخطاب الدعوي لنبِي اللهِ نوحٍ عليه السلام.**

وبعد الثلاثةِ مباحث، جاءت الخاتمةُ وبها أهم نتائجِ البحثِ وتوصياتِه.

التمـــــــــــــهيد

حقيقةُ القيمِ الحضاريةِ عند نبِي اللهِ نوحٍﷺ

لَمَّا كانَ إدراكُ الشيءِ والحكمُ عليه فرعًا عنْ تصورِه، وهو أيضًا مرهون بجلاءِ قواعدِه، فقد آثرت الدراسة أنْ تبدأَ بتعريفِ المصطلحاتِ العلميةِ، وهي: القيم، الحضارة، التحضر، كما تقتضِي المنهجيةُ العلميةُ أنْ نبينَ أولًا المفهومَ اللغوِي، ثم نُثَنِي بالمفهومِ الاصطلاحِي، منْ ناحيةِ الإفْرَادِ، والتركيبِ، وتوضيحِ اطرادِ كل ذلك في ضوءِ فِكرنا الإسلامِي، وفي النهايةِ بيان كيفيةِ انتقال هذه المصطلحاتِ من الدلالةِ اللغويةِ إلى السياقِ الاصطلاحِي الفنِي.

المطلب الأول: تعريفُ القيمِ فِي اللغةِ والاصطلاحِ.

أولًا: مفهومُ القيمِ في اللغةِ.

تقعُ القيمُ تحتَ دائرةِ اهتمامِ علومٍ عدةٍ، كعلمِ الدينِ والفلسفةِ، وعلمِ النفسِ، والتربيةِ، والاقتصادِ، وعلمِ الاجتماعِ. وعليه فسوفَ نتطرقُ بمشيئةِ اللهِ تعالى إلى بيانِ المرادِ منْ مصطلحِ القيمِ، وكذلك بيان بعضِ المفاهيمِ ذات الصلةِ بها، ثم معرفة أهمِ خصائِصِها.

القيمُ: جمع قيمة، وهي لغة: منْ قَوَّمَ " والقِيامُ نقيض الجُلوس"[٥]. وأقام بالمكانِ مقامًا، وإقامة، أي: لبثَ. و" قامة " اسم، كالطاعةِ والطاقةِ. وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ**﴾ [٦] أراد: أنّ مدينةَ قومِ لوطٍ لبطريقٍ بينٍ واضحٍ، وقامَ الشيء واستقام: اعتدل واستوى، واستقاموا: عملوا بطاعتِه، ولزموا سنةَ نبيهمﷺ. وفي قولِه تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[٧]. قالَ الزجاجُ: معناه: للحالةِ التي هي أقوم الحالات، وهي: توحيد الله، وشهادة أنْ لا إله إلا الله، والإيمان برسلِه، والعمل بطاعته[٨]. والقَوامُ حُسْنُ الطُّول. يُقال: هو حسن القامةِ والقُومِيَّة والقِمّةِ، والقَيِّمُ السيّد، وسائسُ الأَمرِ. وقَيِّمُ القَوْمِ الذي يُقَوِّمُهم ويَسُوس أَمرهم، وقومت المَتاعَ أي جعلتُ له قيمة، والقيمةُ: الثمنُ الذي يُقوم به المتاع، أي: يقوم مقامَه[٩].

منْ التعريفِ السابقِ يمكن القول: بأنّ القيمَ في اللغةِ، تعني عدةَ معاني، هي: الصلاح، الاستقامة، الاعتدال، الديمومة، الثبات، الوضوح، الالتزام، العمل، الحُسْن، الثمن، السياسة، السيادة.

ثانيًا: القيمُ في الاصطلاحِ.

القيمُ منْ المفاهيمِ التي يكتنِفُهَا نوع منْ الغموضِ، ويرجع ذلك إلى أنّها قد حظيت باهتمامِ كثيرٍ منْ العلومِ في شتى التخصصات، ولهذا اختلفَ الباحثونَ في وضعِ تعريفٍ جامعٍ مانعٍ لها، ومردُ ذلك الاختلاف يرجعُ إلى المنطلقاتِ النظريةِ التخصصيةِ التي ينطلقُ منها أهلُ كل فنٍ منْ الفنونِ، حيثُ إنّ كلًا منهم له مفهومه الخاص الذي يتفق مع مشربِه ورؤيتِه.

ففي البدايةِ كان لفظُ (قيمة) يدلُ في الاستعمالِ اليومِي على الشجاعةِ أو البسالةِ، على اعتبارِ أنّ لفظَ (قيمة) صفةٌ مميزة لكلِ منْ يتصفُ بها، حتى تحول معنى اللفظة منْ دلالةٍ مشخصةٍ إلى دلالاتٍ شتى مجردة ومعنوية؛ حتى غدا بعضُ الناسِ يصفها (بالميولِ والاهتماماتِ)[١٠]. أي: إذا كان أي شيءٍ موضع اهتمام، فإنّه حتمًا يكتسب قيمة. ومنهم منْ يرونها في صورةِ (الرغباتِ والتقديراتِ) [١١].

وانطلاقًا منْ هذا الغموض الذي يكتنفُ مفهومَ لفظةِ (القيم)، فإنّ الدراسةَ سوفَ تتولى إيراد بعضِ التعريفاتِ التي تدورُ حولَ هذا المصطلح؛ بغيةَ الوصولِ إلى تعريفٍ محددٍ لمفهومِها، وقد كان منْ بينِ منْ قامَ بتعريفِ لفظةِ (القيم) منْ المتخصصين، ما يأتي:

أ- علماءُ علمِ النفسِ الاجتماعِي، وقد جاءت القيمُ عندَهم بمعنى: " معيار اجتماعي ذو صيغةٍ انفعاليةٍ قوية وعامة، تتصل منْ قريبٍ بالمستوياتِ الخُلُقية التي تقدمها الجماعةُ، ويمتصها الفردُ منْ بيئتِه الاجتماعيةِ الخارجيةِ، ويُقيم منها موازين يبرر بها أفعاله، ويتخذها هاديًا ومرشدًا "[١٢]. كما أنّها تأتي عند بعضِ منهم بمعنى: " النافع أو اللائق"[١٣].

ومنهم منْ يدعي أنّها تكمنُ في: " اللذة النزيهة التي يزودنا بها المنظرُ المحض للأشياء"[١٤].

ب– علماءُ السياسة، القيمة عند السياسيين تعني: اكتشاف المسلمات القيمية الضمنية التي تشكل السلوك السياسي، والتي تعد في ذاتها عوامل تفسيرية(١٥).

جـ– علماءُ الاقتصاد قد عرفوها بأنّها: قيمة التبادل، أي: السعر المقرر للسلعةِ، ويميزون بين القيمةِ والسعرِ على أساسِ أنّ القيمةَ حقيقية، أما السعر فاعتباري، وذلك راجع إلى التراضِي بين المتبادلين للسلعةِ، ولهذا تكون القيمةُ أحيانًا أكثر أو أقل من السعرِ(١٦).

د– الفلاسفةُ يرونها: " صفة في الأشياءِ قوامها أنْ تكون موضع تقدير إلى حدٍ كبيرٍ أو صغير، أو أنْ يرغب بها شخص، أو جماعة منْ أشخاصٍ معينين "(١٧).

هـ– علماءُ التربية يصفونها بقولِهم: مفهوم يتمناه الفرد لاعتقادِه بصحتِه عقليًا ووجدانيًا، وربما إيمانيًا، وهو حالة عقلية ونفسية ووجدانية، لها ارتباط بالجانبِ المعرفِي النظرِي، وكذلك الجانب المهاري التطبيقي العملي في واقعِ الفرد(١٨).

و– ومنهم منْ يراها: " محطات ومقاييس نحكم بها على الأفكارِ، والأشخاصِ، والأشياءِ، والأعمالِ، والموضوعاتِ، والمواقفِ الفرديةِ والجماعيةِ، منْ حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوئها وعدمِ قيمتِها وكراهيتِها، أو منْ منزلةٍ معينةٍ ما بين هذينِ الحدينِ(١٩).

بالنظرِ إلى التعريفاتِ السابقةِ يمكن ملاحظة أنّها – منْ وجهةِ نظرِ الفكرِ الإسلامِي – تجنحُ إلى عددٍ منْ الخصائصِ التي تخالفُ في أساسِها وجوهرِها الوجهة الإسلامية، ويمكن تفصيل ذلك على النحوِ الآتي:

- أنّ هذه التعريفات انتقائية؛ لما تحمله منْ وجهاتِ نظرٍ فرديةٍ، ويُؤكد ذلك أنّها جعلت منْ المنفعةِ الآنيةِ أساسًا لهذِه القيم، بمعنى نفي الضررِ الآنِي، متناسيةً لعنصري الخيرِ والشرِ الكامنِ في النفسِ البشريةِ، الأمر الذي حملها على أنْ جعلت منْ الإنسانِ حاكمًا على الأفعالِ والأعمالِ ببشريتِه النسبيةِ الناقصةِ.
- أنّ هذه التعريفات جعلت منْ الإنسانِ والمجتمعِ الذي يعيشُ فيه مصدرًا يستقي منهما قِيَمه، فالإنسانُ أو المجتمعُ لا يمكنهما إدراك الحسن أو القبح إدراكًا كاملًا، وذلك يرجع إلى نسبيتهما في النظرةِ إلى الأشياءِ، الأمرُ الذي قد

يحملهما على الحكمِ بالحُسن على الشيءِ تارةً، ونفيه عنه أخرى، ليس ذلك إلاّ لاختلافِ أحوالِ النفسِ والمجتمعِ منْ حينٍ إلى آخر، وكذلك اختلاف الظروفِ المحيطةِ بهما.

أي: أنّهما لا يستطيعان أنْ يحكما حُكْمًا موضوعيًا إلاّ منْ خلال الدينِ الإلهِي، بما يحمله منْ نظرةٍ شاملةٍ للأشياءِ، وفق أهدافٍ محددةٍ، وظيفة العقل البشري فيها أنّه في تفهمِ الوحي ليس إلاّ باحثًا عنْ " المراد الإلهي في تحديدِ أفعالِ الإنسانِ، دونَ أنْ يكون له أي تدخلٍ في الإضافةِ الذاتيةِ، بما يؤثرُ على ذلك المراد بالزيادةِ أو النقصانِ أو التغييرِ "[٢٠].

وقبل أنْ تختار الدراسة تعريفًا للقيمة، يمكن ذكر معنى القيمة عند الفقهاء كما جاءت في بعض كتب الفقه، قَالَ الشَّافِعِيُّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: " وَلَوْ تَزَوَّجَ صَغِيرَةً، ثُمَّ أَرْضَعَتْهَا أُمُّهُ أَوِ ابْنَتُهُ مِنْ نَسَبٍ أَوْ رَضَاعٍ، أَوِ امْرَأَةُ ابْنِهِ مِنْ نَسَبٍ أَوْ رَضَاعٍ بِلَبَنِ ابْنِهِ حَرُمَتْ عَلَيْهِ الصَّغِيرَةُ أَبَدًا، وَكَانَ لَهَا عَلَيْهِ نِصْفُ الْمَهْرِ رَجَعَ عَلَى الَّتِي أَرْضَعَتْهَا بِنِصْفِ صَدَاقِ مِثْلِهَا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَفْسَدَ شَيْئًا لَزِمَهُ قِيمَةُ مَا أَفْسَدَ بِخَطَأٍ أَوْ عَمْدٍ"[٢١]. والشاهد أنّ الفقه يقرر مبدأ القيمة، وإنْ كانت في شكلٍ مادي، إلاّ أنّه يقر بها ويقررها لاعتبارات معنوية.

ولسدِ الثغراتِ الموجودةِ في تعريفاتِ القيمِ السابقةِ، يمكن للدراسةِ أنْ تختار (للقيم) تعريفًا، بأنّها: " مجموعة منْ المعاييرِ والأحكامِ النابعةِ منْ تصوراتٍ أساسيةٍ عنْ الكونِ والحياةِ والإنسانِ والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفردِ والمجتمعِ منْ خلالِ التفاعلِ مع المواقفِ والخبراتِ الحياتيةِ المختلفةِ، بحيث تمكنه منْ اختيارِ أهدافٍ وتوجهاتٍ لحياتِه تتفقُ مع إمكانياتِه، وتتجسد منْ خلالِ الاهتماماتِ أو السلوكِ العملِي بطريقةٍ مباشرةٍ وغير مباشرةٍ "[٢٢].

منْ ذلك يمكن القول: بأنّ القيمَ الإسلامية هي: تلك المعايير الأخلاقية الإسلامية التي تؤسس لحياةِ الأفرادِ والمجتمعاتِ، ويمكن بسلوكِها واتباعِها يحاول الإنسانُ الاقترابَ منْ درجةِ الكمالِ البشرِي.

المطلب الثاني: تعريفُ الحضارةِ والتحضرِ في اللغةِ والاصطلاحِ.

أولًا: تعريف الحضارة في اللغة.

إنّ أي حضارةٍ من حضاراتِ الأممِ لا بدَ أنّ تَعتمدَ على أربعةِ أمورٍ، هي الدينِ، والعلمِ، والفنِ، والاقتصادِ، فلا تَخلو أي أُمةٍ من الأممِ منْ واحدةٍ منها، فالاقتصادياتُ أساسُ المعيشةِ اليوميَّةِ، التي لا بدَّ منها في توفيرِ الغذاءِ والكساءِ والمسكنِ، وغير ذلك من الضروريَّاتِ الأوليةِ، وما يَتبع ذلك من كماليات.

والفنون كالأدبِ من شعرٍ وأقاصيص، وروايات، من الأمورِ التي تُشْبِعُ خيالَ الشعوبِ، وتُعَدُّ طبيعيَّةً في البشرِ منذ ظهورِ الإنسانيَّةِ على مسرحِ التاريخِ، والعلوم من رياضياتٍ وطبيعياتٍ لازمةٍ في كلّ أُمَّةٍ، مهما تَكُن هذه العلوم بدائية تقومُ على التجاربِ، أو راقية ترتفعُ إلى مستوى استخلاصِ القوانينِ والنظرياتِ، إذ كيف تخلو أُمَّةٌ من معرفةِ الطبِ والدواءِ المصلِح للأبدانِ، أو الهندسة التي يعتمدُ عليها في بناءِ العمران، وإقامةِ الجسورِ، أو الحساب المفيد في العَدّ والإحصاءِ، والبيعِ والشراءِ، وغير ذلك، أو الدين الذي هو الغذاء الرُّوحي لأفرادِ الأُمةِ، والدواء المصلِح للنفوسِ، والرابطة التي تؤلِّفُ بين القلوبِ.

فعندما جاء الإسلامُ وجَدَ العرب أنفسهم أمامَ حضارتين عظمتين، هما: حضارة كل من الفرس، والروم، ولا شك أنّه كان لكلٍّ من الحضارتين نظرة إلى الأمورِ الأربعةِ التي قامت عليها حضارة كل منهما، كما كان للحضارتين مَسلك خاص تجاه الدينِ والعلمِ، والفنِ والاقتصادِ، والمعنى أنّه كان لكل منْ الحضارتين قِيَمٌ تسود شعوب كل منهما، ولا شك أنّ شعوبهما كانوا يَتمسَّكون بهذه القيم، كما كان لتلك القِيَم أثر في توجيه سلوك أفراد كل أمة منهما، وفي الوقت ذاته كان للعرب في جاهليتهم قِيَم يتمسكون بها، وكانت تُشَكِّل أيضًا حضارة مختلفة عن حضارتي الفرس والروم. من هذا المنطلق فإنّه يلزم بيان مفهوم الحضارة، وذلك على النحو الآتي:

الحضارة لغة: منْ الحُضور نقيض المَغيب، وكلَّمتُه بِحَضْرَةِ فلانٍ وبمَحَضْرٍ منه، أَي: بِمَشْهَدٍ منه. ورجل حَضِرٌ إذا حَضَرَ بخيرٍ، والحَضْرَةُ قُرْبُ الشيء. تقول: كنتُ بِحَضْرَةِ الدار، وهو الشاهد المقيم ضد الغائب، والحضارَةُ: الإقامة في الحَضَرِ،

والحَضَرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ خلاف البادية: وهي المُدُنُ والقُرَى والرِّيف. سميت بذلك؛ لأَنّ أَهلَها حَضَرُوا الأَمصارَ، ومَساكِنَ الديار التي يكون لهم بها قَرارٌ، ويقال للمقيم على الماءِ حاضرٌ. وجمعه حُضُورٌ، وهو ضدّ المسافر، وكذلك يُقال للمقيمِ شاهدٌ وخافِضٌ، وفلان حاضِرٌ بموضعِ كذا، أَي: مقيم به، ويُقال: هؤلاءِ قوم حُضَّارٌ إِذا حَضَرُوا المياه(٢٣).

الملاحظ منْ التعريفِ اللغوِي السابقِ أنّ الجذرَ اللغوي للفظةِ(حضر) قد وردَ بعدةِ معاني، هي: القرب، الإِقامة والاستقرار، الشهود والحضور.

ثانيًا: تعريفُ الحضارةِ في الاصطلاحِ.

تطلقُ الحضارةُ ويرادُ بها الكيان الثقافي، على اعتبارِ أنّها أعلى تجمعٍ ثقافِي للبشرِ، وأعرض مستوى للهويةِ الثقافيةِ يتمتع به البشر، والتي منْ دونها لا يتميز الجنس البشري عنْ الأنواعِ الأخرى منْ الكائناتِ(٢٤).

ويؤكد على ذلك المعنى ابنُ خلدون، فيقول: الحضارة " نمط منْ الحياةِ المستقرةِ يُنْشِئ القرى والأمصار، ويضفي على حياةِ أصحابِه فنونًا منتظمة منْ العيشِ، والعملِ، والاجتماعِ، والعلمِ، والصناعةِ، وإدارةِ شئونِ الحياةِ، والحكمِ، وترتيبِ وسائلِ الراحةِ، وأسبابِ الرفاهيةِ "(٢٥).

كما تُعْرَف بأنّها:" المدنية التي تعنى بالجوانبِ الماديةِ، والاقتصاديةِ، والتطبيقيةِ، والعمرانيةِ، والتنظيميةِ، والثقافيةِ التي تعنى بالجوانبِ المعرفيةِ، والأخلاقيةِ، والروحيةِ، والجماليةِ"(٢٦).

ويمكن وصفها بأنّها: " ثمرةُ كلِ جهدٍ يقوم به الإنسانُ لتحسينِ ظروفِ حياتِه، سواء أكان المجهود المبذول للوصولِ إلى تلكَ الثمرةِ مقصودًا أم غير مقصودٍ، وسواء أكانت الثمرةُ ماديَّة أم معنويَّة"(٢٧).

وتطلق أيضًا على: " محاولات الإنسان الاستكشاف، والاختراع، والتفكير، والتنظيم، والعمل على استغلالِ الطبيعةِ، للوصولِ إلى مستوى حياةٍ أفضل، وهي حصيلة جهودِ الأممِ كلِها"(٢٨).

والحضارة عند الغربيين: "هي الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد، وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في مجتمع"(٢٩).

أو هي: " مجموعة الصور وأشكال السلوك المكتسبة التي تنقلها مجموعة أو أفراد مرتبطون بتقاليد مشتركة إلى أبنائهم وإلى الوافدين البالغين الذين يندمجون في حضارتهم"(٣٠).

والحضارة بهذا المعنى ترتبط بالتاريخِ، حيث إنّ التاريخَ هو الزمن، والثمرات الحضارية تحتاج إلى زمنٍ كي تثمرَ في أثنائِه، بمعنى أنّها جزءٌ من التاريخِ، أو هي نتاج التاريخ.

منْ التعريفاتِ السابقةِ للحضارةِ يمكن القول، بأنّ الحضارةَ تعني: مجموع ما في مجتمعٍ أو مجتمعاتٍ متشابهة، من التقاليدِ والمبادئِ، والنظمِ الماديّةِ والمعنويّةِ، وكلّ ما يتشعّب منها منْ النظمِ الاقتصاديّةِ، والثقافيّةِ، والسياسيّةِ، فهي بذلك جملة مظاهر الرّقي الماديّ، والعلميّ، والفنيّ، والأدبيّ، مجتمعة.

ثالثًا: التحضرُ في الاصطلاحِ:

يعرف التحضر بأنّه: " وضع منْ الاجتماعِ الإنسانِي، ذو مواصفاتٍ خاصة في علاقةِ أفرادِ المجتمعِ بالأرضِ التي يعيشون عليها، وعلاقة هؤلاء الأفرادِ ببعضِهم، بحيث تثمر هذه العلاقات كلها نمطًا منْ الحياةِ، تنمو فيه المكتسبات المادية والمعنوية متلونة بألوانٍ مختلفةٍ منْ حضارةٍ إلى أخرى "(٣١).

رابعًا: الفرقُ بين الحضارة والتحضر.

انطلاقًا منْ التعريفينِ السابقينِ للحضارةِ والتحضرِ، فإنّه يمكن القول بأنّ الكلامَ عن أحدِهما لا ينفصلُ في الأصلِ عنْ الآخرِ، إذ إنّهما وجهانِ لعملةٍ واحدةٍ. بمعنى أنّه لا يُوجد تحضر بدونِ حضارةٍ تُرسي معالمه، وتُؤسس لمبادِئه، ذلك وأنّ الحضارةَ بمعناها العام يرتبط بالتطورِ والانتاجِ، ومعناها الخاص يتعلق بوجودِ التنظيمِ والاستقرارِ

في الحياةِ، وهو ما لا يفترقُ عنْ التحضرِ الذي يُعد نمطًا منظمًا منْ العلاقاتِ التي تنشأُ في وجودِ ذلك الاستقرار والتطور الحضاري.

وعليه، فالحضارةُ ما هي إلاّ نتاجٌ للنشاطِ الإنسانِي بمختلفِ صورِه المعنويةِ والماديةِ، وإذا كانت الحضارةُ بهذا المعنى، فإنّ التحضرَ يعني الاستفادة المثلى أو الاستخدام الأمثل لهذا النتاجِ المادِي والمعنوِي، والذي يمكن أنْ يظهرَ في صورةِ أفعالٍ وسلوكياتٍ فرديةٍ أو جماعيةٍ، وذلك بالتعاملِ الأمثلِ مع ما يوفره التمدن والتحضر من المقوماتِ، والأدواتِ، والأجهزةِ، والرفاهيةِ، وذلك بالتحولِ إلى التعاملِ الإيجابِي مع عناصرِ هذه المدنيةِ، وإنتاج ذلك حينها يكون تحضرًا.

ونخلصُ مما سبق، إلى أنّ الفارقَ بين الحضارةِ التي تختص بالإنجازاتِ العمرانيةِ، والثقافيةِ، والاقتصاديةِ، والاجتماعيةِ لشعبٍ منْ الشعوبِ في فترةٍ زمنيةٍ معينةٍ، وبينَ التحضرِ الذي هو بمثابةِ الحالةِ الذهنيةِ التي تنشأ عن هذه الظاهرةِ الإنسانيةِ، والتي توجه الإنسانَ وتُرقي منْ أفعالهِ، وسلوكياتِه، وتعاملاتِه مع البيئةِ منْ حولِه، ومع غيرِه منْ البشرِ.

ومنْ مجموعِ التعريفاتِ السابقةِ للقيمِ، والحضارةِ، والتحضرِ، يمكن وضعُ تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للقيمِ الحضاريةِ في الخطابِ القرآنِي لدعوةِ الأنبياءِ والرسلِ بما يُناسب الدراسة التي بينَ أيدينا، على أنّها: **مجموعة الأخلاق، والعادات الاجتماعيّة، والمبادئ، والمُثل التي نشأ عليها أنبياءُ اللهِ تعالى منذ نعومةِ أظفارِهم، واسّتمرت معهم طوالَ حياتهم، قبل التكليفِ بالرسالةِ وبعده، يتمّ ممارستها بشكلٍّ عفويٍّ وطبيعيٍّ في حياتِهم اليوميّة، في محاولةٍ منهم لإيصال ما أُمروا ببلاغِه منْ قِبَلِ اللهِ تعالى، منْ قيمِ الحقِ، والعدلِ، والرحمةِ، والإيجابيةِ، وتحملِ المسئوليةِ، وغيرِ ذلك مما يطولُ ذِكره.**

خامسًا: القيمُ الحضاريةُ في القرآنِ.

المتأملُ في القرآنِ الكريمِ، يجد أنّ كثيرًا منْ آياتِه تحثُ على القيمِ الحضاريةِ الإنسانيةِ، كقيمةِ الصدقِ، والعدلِ، والصبرِ، والعلمِ، والإنفاقِ، والتعاونِ، والمساواةِ،

والإيثارِ، والمحبّةِ، وغيرِها منْ الصفاتِ، كما أنّ سنة النبيﷺ حافلةٌ بكثيرٍ منْ هذه القيم الحضارية.

ولعل ما يؤكد اهتمام القرآن الكريم بالدعوة إلى القيم الحضارية الإنسانية، هو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾[٣٢]. " أي: جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوي كرم أي: شرف، ومحاسن جمة، لا يحيط بها نطاق الحصر. وعن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – كرمهم بالعقل. وفي رواية، بتناولهم الطعام بأيديهم، لا بأفواههم كسائر الحيوانات"[٣٣].

ولعل من تكريم الله تعالى لبني آدم أيضًا أنْ خلقهم على أكمل الهيئات وأفضلها، فهو يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من المخلوقات الأخرى يمشي على أربع، ويأكل بفمه[٣٤]. ومن بين تكريمه أيضًا، تسخير الكون بكل ما فيه من أنظمة لخدمته، بغية تحقيق سعادته في الدنيا، وفوزه بالنعيم المقيم في الآخرة. وإنَّ هذا التكريم يكتسب قيمته من حيث المصدر الذي أقرَّ به، وهو الله ﷻ. كما أنَّه يمثل الأساس الذى تقوم عليه العلاقات بين البشرية جمعاء.

سادسًا: أهميّة القيم الحضارية.

للقيم الحضارية أهمية كبيرة بالنسبة للفرد والمجتمع، منها ما يأتي:

أولًا: أهميّة القيم بالنسبة للفرد.

١. **القيم الحضارية تعد أساسًا وجوهرًا للكينونة البشرية في الأرض:** وإذا كان الإنسان هو خليفة الله – عز وجل – في أرضه؛ قال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[٣٥]. والخلافة تقتضي إعمارًا واستقرارًا. وهذا كله لا يتأتى بغير خليفة تكون حاملة لمجموعة القيم، إذ بها يكون الإعمار والاستقرار، وبدونها تتحوّل البشرية إلى أداة للفساد والإفساد في الأرض؛ مما يكون عوضًا عن الإعمار، والبناء، والاستقرار.

٢. **القيم الحضارية تحدد مسارات وسلوكيّات الأفراد في الحياة على الأرض:** فإذا كانت القيم المترسّخة لدى الفرد قيمًا إيجابيّة كان سلوكه سلوكًا إيجابيًّا، متوجهًا نحو الخير والحقّ، وإذا غابت القيم كان سلوك الأفراد سلوكًا سلبيًا، متوجهًا إلى الشر

والباطل . لذلك كانت دعوة الأنبياء والرسل– عليهم السلام– مرتكزة على القيم الإيجابية البناءة، والأخلاق الحميدة.

٣. **القيم الحضارية تدفع الإنسان للفاعليّة والعمل، وتبعده عن السلبيّة والكسل:** فإذا ما ترسّخت لدى الأفراد قيمة العمل الجاد كان ذلك سببًا للتدرّج في سلم الازدهار، والنجاح، والتقدم. وبالتالي يكون الفرد فاعلًا في بيئته ومجتمعه، وإذا ما ترسخت في الفرد صفة التشاؤم والفشل، فإنّ هذا سيدفعه حتمًا إلى السلبية التي تكون سببًا في الدمار والخراب.

ثانيًا: أهمية القيم بالنسبة للمجتمع.

يمكن تلخيص أهمية القيم بالنسبة للمجتمع، فيما يأتي:

١. **القيم تعد أساسًا للإنجاز الحضاريّ بكامل صوره،** فالناظر إلى الحضارة الإسلامية يتجلى له ارتباط القيم الإنسانيّة بتلك المنجزات الحضارية التي دعا إليها الإسلام ارتباطًا وثيقًا؛ فعلى سبيل المثال: ترتّب على وجود الأمر بإيجاب طلب العلم في الإسلام وتيسير سُبُله، قيام التعليم بالمساجد، ثمّ بالمدارس، وقيام مراكز البحث العلميّ في المراكز البحثية، والجامعات.

٢. **تحتفظ القيم بهُوِية الفرد في بيئته وخارج مجتمعه،** كما أنّها تعد في أي مجتمع من أهمّ مكوناته الثقافة، ومن هنا فإنّه يجب الحذر من القيم السلبيّة الدخيلة على مجتمعاتنا الإسلامية.

٣. **تساعد القيم في بقاء المجتمعات واستمراريتها،** فالأصل في بقاء أي مجتمع هو جملة ما يملكه من القيم الحضارية الإنسانية التي يستمسك بها، لا بما يملكه من جملة الثروات الطبيعيّة فحسب، فالقيم تبقى، والثروات تفنى، قال تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا**﴾(٣٦).

يقول ابن عجيبة(٣٧): " أي: كثيرًا أهلكنا من أهل قرية، كانت حالهم كحالهم في الأمن والدعة، وخصب العيش، مِنْ وصفها ﴿**بَطِرَتْ**﴾ في ﴿**مَعِيشَتها**﴾، أي: طغت، وتجبرت، ولم تشكر، بل قابلتها بالبطر والطغيان. قال القشيري: لم يعرفوا قدر نعمتهم،

ولم يشكروا سلامة أموالهم، وانتظام أمورهم، فهاموا في أودية الكفران على وجوهم، وخَرُّوا في وَهدة الطغيان على أذقانهم، فدمر الله عليهم، وخرب ديارهم "[٣٨].

سابعًا: خصـائص القيـــم الحضارية الإسلامية.

تُسْتمد القيم الحضارية في الإسلام من كتاب الله العزيز، وسنة النبيﷺ، كما أنّها تمتاز بمجموعة من الخصائص، من أبرزها، ما يأتي:

أولًا: الربانية: من أهم خصائص القيم الحضارية في الإسلام أنّها ربانية[٣٩]، أي: أنّها من عند الله – عز وجل – فهو من أمر بها عباده سبحانه، ورتب على الالتزام بها التوفيق والثواب، وعلى عدم الالتزام بها الفشل والعقاب، وهذا الأصل ينبثق من كون أنّ الله تعالى هو مَنْ وضعهاﷻ. والله الخالق هو: " الذي يربّ الناس فيصلح أمورهم ويقوم عليها "[٤٠]. وعلى ذلك، فأساس قدسية هذه القيم أنّها من عند الله عز وجل، وإنّ استصحاب هذا الأصل البارز عند العمل بها يُعطي الإنسان القوة، والإرادة، والعزيمة، كما أنّها سبب لضمان العصمة من الوقوع في العثار والذلل.

ثانيًا: الإنسانية: وقبل الولوج في هذا العنصر، يمكن للدراسة أنْ تتساءل هل يمكن الاكتفاء بمصدر واحد لهذه القيم، ويستثنى ما عادها؟ من ذلك يمكن القول بأنّ أصول القيم الحضارية الإسلامية أنّها إنسانية، والمعنى: أنّها موجهة للإنسان، وإنسانية أيضًا من ناحية أنّ الإنسان يُنْشِئ بعضها بفطرته السوية السليمة، وبمحاكاته وعلاقاته مع الآخرين، وبما يتلقاه من الرسائل السماوية، إذن فالقيم إنّما هي خليط أمشاج بين الإنسان والوحي السماوي.

وعليه، فالإنسان أيضًا مشارك في وضع هذه القيم الحضارية، فهذا رسول الله ﷺ يشهد حلف الفضول ويُقر به، لأنّه قائم على هدم الظلم، ورفع منار الحق، ونُشوء هذا الحلف في ظلام الجاهلية فيه دلالة بينة على أنّ شيوع الفساد في مجتمع أو نظام لا يعني بالضرورة خلوه من أي فضيلة، فعلى الرغم من أنّ المجتمع المكي كان مجتمعًا جاهليًا تُهيمن عليه عبادة الأوثان والمظالم، وغير ذلك، ومع هذا كله كان فيه رجال أصحاب نخوة ومروءة يكرهون الظلم ولا يُقرونه[٤١].

وهنا تكمن عظمة الإسلام في أنّه لا يفرض القيم الربانية ابتداء، ولكنه يترك للإنسان مجالًا واسعًا في إنشاء ما يراه مناسبًا صالحًا له وللإنسانية من حوله، وللكون الذي يعيش فيه، وذلك واضح وضوحًا جليًا. فمنذ بداية الإسلام، والإسلام يُبْقِي على عادات وقيم كانت موجودة ومتوارثة قبل نزوله.

ولتحقيق هذه القيم العظيمة جعل القرآن جميع مقاصده راجعة في جملتها أو تفصيلها إلى تعاليمه، وهديه، وأسراره، وتوجيهاته. فكان من بين مقاصده القيمة التي جاء بها، هي: حفظ الضرورات الخمس " التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تُجْرَ مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة"(٤٢)، وقد جاء القرآن بما يدل على ذلك:

- **حفظ النفس البشرية لتكون حية قوية، قابلة للخطاب،** بمعنى أنّه يحافظ عليها لتكون قادرة على القيام بالتكاليف الشرعية. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾(٤٣). وقال تعالى أيضًا: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾(٤٤). وغير ذلك من الآيات.
- **حفظ العقل البشري،** شرع الله تعالى تحريم كل ما من شأنه أنْ يضر به، قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾(٤٥).

وفي الحديث **عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ – رضي الله عنها – قَالَتْ:" نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ**"(٤٦). وذلك فضلًا عن ترتيب الدية كاملة على الاعتداء على قدراته وتضييع منفعته، أو الاعتداء عليه بأي نوع من أنواع الإكراه، قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾(٤٧). وقال تعالى أيضًا: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾(٤٨). وقال تعالى أيضًا: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾(٤٩).

- **حفظ دين الإنسان،** وهو أحد الأسس والمبادئ الدستورية للإنسان الحضاري.
- **حفظ النسل وحفظ كرامة الإنسان.** أحيطت كرامة الإنسان بسياج عظيم من الضمانات، فحرمت الشريعة كل من شأنه أنْ يحجر على الإنسان وعقله، كما حرمت القتل، والسب، والقذف، والزنا، وكذا الاتهام المفتقد للدليل والبرهان،

وحرمت التفرقة العنصرية بجميع صورها، وغير ذلك الكثير من الأوامر والنواهي الإلهية التي جاءت لتحفظ على الإنسان حياته، أو التي تكفل له كرامته.

- **حفظ الأموال، وذلك بالحث على الكسب الحلال،** وتحريم الكسب غير المشروع ، وكذا النهي عن إضاعة المال في غير أوجهه الصحيحة، وتحريم التبذير والإسراف، وتحريم أكل أموال الناس بالباطل، وإيجاب الحد على السارق(٥٠).

والمتأمل في نظام ترتيب هذه الضرورات الخمس السابقة، يجد أنّ الترتيب فيها له اعتباراته القيمة؛ فأول ما يجب الحفاظ عليه هو: النفس؛ فهي الأساس في التلقي للتنفيذ، ثم يجيء في الرتبة بعد ذلك العقل؛ إذ إنّ مدار التكليف والتعقل يدور عليه وحده، ثم يأت من بعد ذلك في الترتيب الدين، الذي هو أسمى ما تستقبله النفس المطمئنة، بعقلها الواعي الذي يُدْرك ما يُلْقى عليه من أوامر ونواهي، فيحافظ الإنسان على الدين الذي به يؤدي العبادة، ثم يكون بعد ذلك النسل الناتج عن الإنسان، وهو ما يترتب عليه حفظ الذات، والعقل، والدين، وما يندرج تحته من المحافظة على العرض، وحقوق الإنسان وكرامته – حسب مقتضيات الأوامر والنواهي – وفي النهاية يكون المال، وهو الذي به عمارة الدنيا عند تداولها، وهو ما يمثل مقومًا أساسيًا وضروريًا من المقومات الحياتية.

ثالثًا: الشمولية: تعد أحد أهم خصائص القيم الإسلامية، فلا زيادة فيها، ولا نقصان، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ**﴾(٥١). فالقيم الإسلامية بجملتها منهجٌ متكامل يرتبط بعضة ببعض، ويُقصد بالشمولية مجموعة القواعد، والقوانين، والنظم، والأحكام الإلهية التي تنظّم حياة الفرد والجماعة.

رابعًا: الواقعية: القيم الإسلامية قيم واقعية، بمعنى إمكانية بلوغها والوصول إليها على أرض الواقع، فإنّ العباد لم يطالبوا بما يستحيل عليهم تحصيله، وإنّما طولبوا بما هو في مقدورهم، فواقعية القيم في القرآن هي قابليتها للتطبيق والعمل في الواقع.

ومن هذا المنطلق؛ فإنّ المتدبر لكتاب الله تعالى لا ينبغي أنْ ينفّك عن تقرير هذا المفهوم، وإلا لم يكن له ثمرةٌ واضحة. فإنّ واقعية القيم الإسلامية تستوحي أصولها من المجالات الثلاثة التي يدور عليها النظام الإنساني، في العقيدة، والتشريع، والأخلاق(٥٢).

المطلب الثالث: تعريف الخطاب في اللغة والاصطلاح.

الخطاب من أهم وسائل الإقناع بالفكرة المطروحة، وهو الاتصال المكتوب أو الشفوي أو السمعي أو البصري، والذي يهدف بدوره إلى التأثير في الاتجاهات أو الاعتقادات أو الأفكار أو السلوك، وذلك بسلوك طريق النصح والارشاد بالحجة والبرهان، وأيضًا التأثير في العاطفة الإنسانية. ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الإقناع، كما لا يمكن الإقناع إلا عند الاهتمام بالخطاب في الشكل والمضمون معًا.

ولعل من أهم شروط الإقناع عدم الإكراه، وبخاصة إذا تعلق الأمر بالأديان والعقائد، لأنّ قبول العقائد لا يكون إلا عن طريق الرضا النفسي والطمأنينة إلى ما يُخاطب به الإنسان، ولما كان ذلك كذلك كان لمعرفة أسس مكونات خطاب الأنبياء لأقوامهم أهمية بالغة، ولبيان ذلك يمكن التعريف بالخطاب لغة واصطلاحًا أولًا، ثم تناول أسس الخطاب بالبيان والإيضاح ثانيًا.

أ- **الخطاب في اللغة:** الشَّأْنُ، وقولنا مَا خَطبُكَ؟ أَي: مَا شَأْنُك الذي تَخطُبُه، وهو مجاز. والخَطْب: الحالُ والأَمْرُ صَغُرَ أَوْ عَظُمَ، والخَطْبُ: الأَمْرُ الذي يَقَعُ فيه المُخَاطَبَةُ، وجَلَّ الخَطْبُ، أَي: عَظُمَ الأَمْرُ والشَّأْن(٥٣).

والخَطْبُ سبب الأمر، تقول: ما خطبك، أي: ما أمرك. وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير، وخاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً(٥٤).

من التعريف السابق، يتبين لنا أنّ لفظ (الخطاب) قد جاء بعدة معاني هي: الأمر، الحال، الشأن، المُخَاطَبَة.

ب- **الخطاب في الاصطلاح:** هو: لون من ألوان القول، يحشد له الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعيه، وجذبهم بما يسوق من الحجج والبراهين المقنعة(٥٥).

أو هو جملة ما يصدر عن المتكلمين من أجل الإقناع والتأثير(٥٦).

جـ- أسس الخطاب عند الأنبياء:

إنّ أعظم حقيقة في هذا الكون هي حقيقة التوحيد، لذلك جاءت الشرائع السماوية بالدعوة إليها، والحث على سلوك طريق المنادي بها، فطريقها فيه الهداية والرشاد، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(٥٧) .

لكنه نظرًا لاختلاف الأزمنة والأمكنة كان لا بد أنْ تتنوع طرق وأساليب عرض هذا الخطاب الدعوي من قبل الداعين له، ولما كان القرآن الكريم مهيمنًا على ما سواه من الكتب، فقد استلزم شموليةً في الحوار كي يناسب كافة الاتجاهات الفكرية في كل عصر ومصر، قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾(٥٨).

وللمتأمل في خطاب الأنبياء والرسل مع أقوامهم في دعوتهم إلى توحيد الله تعالى يجده ألطف وألين خطاب، حيث امتاز هذا الخطاب الدعوي بمنهج يعتمد على أسس ودعائم (٥٩) توافق مشارب واتجاهات الأقوام المُرْسلِ إليهم، وقد تجلى ذلك في خطاب جميع الأنبياء والرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم. ولبيان ذلك يجب معرفة الأسس التي قام عليها الخطاب الدعوي عند الأنبياء والرسل– عليهم السلام–.

وعليه، فقد أرسل الله تعالى رسله – عليهم السلام – لإخراج الناس من ظلام الجهل إلى نور العلم، لذلك كانت الأسس التي قام عليها الخطاب الدعوي عند الأنبياء والرسل– عليهم السلام– أسسًا متينة جاءت لنفع البشرية، وتقويم اعوجاجها، ولعل من هذه الأسس، ما يأتي:

- الدعوة إلى التوحيد الخالص، مع الاختلاف في الشرائع. قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(٦٠) .
- التحذير من الشرك والنهي عنه. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾(٦١) .

- بيان شأن الآلهة المعبودة من دون الله فهي لا تنفع ولا تضر. قال تعالى: **﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾**(٦٢) . وقال تعالى أيضًا **﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾**(٦٣) .
- طلب الأجر من الله تعالى، وليس من الناس. قال تعالى: **﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾**(٦٤). وقال تعالى أيضًا: **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾**(٦٥).
- التكامل الأخلاقي والأسوة الحسنة عند رسل الله تعالى. قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**(٦٦). وقال تعالى أيضًا: **﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾**(٦٧). وقال تعالى أيضًا: **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**(٦٨).

المبحث الأول

التعريف بنبي الله نوح عليه السلام.

نبيُ الله نُوحٌ عليه السلام، أبُو البَشَرِ الثَانِي، وأحد الخمسة أُولو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، أَوْحَى اللَّهُ تعالى إِلَيْهِ بِوحيه، وَعَلَّمَهُ مِنْ عِلْمِهِ، فَكَانَ نبي الله نُوحٌ عليه السلام عَالِمًا بِاللَّهِ، حافظًا لدينه، قال الله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾(٦٩). وتحقيقًا للتعريف بنبي الله نوح عليه السلام فإنّ الدراسة ستتولى ذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: اسمُ نبيِ اللهِ نوحٍ عليه السلام وأسرتُه.

١- الاسم:

هو نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام جدُّه الأكبر، ابن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام أبي البشر. قال الكلبي: كان بينه وبين آدم عليه السلام عشرة قرون(٧٠).

فعن قتادة، ثنا عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " **كانَ بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون، كلهم على شريعة الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين، وأنزل كتابه، فكانوا أمة واحدة**"(٧١).

وعليه، فبين نوح وآدم عليهما السلام ألف سنة، ولكن لا ينفي أنْ يكون بينهما أكثر من ذلك، باعتبار ما قيَّدت به رواية ابن عباس رضي الله عنهما بشريعة الحق، إذ قد يكون بينهما قرون أُخَرُ متأخرة لم يكونوا على الحق، كما يحتمل المراد بالقرن الجيل من الناس، فقد كان الجيل قبل نوح يعمّر الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح عليهما السلام ألوف السنين(٧٢).

والخلاصة، أنّ نوحًا عليه السلام قد بعثه الله عز وجل لما عَبَدَ الناس الأصنام من دون الله تعالى، وشرعوا بذلك في الضلال المبين، فبعثه الله تعالى رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض.

ففي الصحيح، **عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ... فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ... الحديث**"(٧٣).

٢ – الأسرة:

كان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد، هم: سام، وحام، ويافث[٧٤]، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أنَّ رسول اللهﷺ قال: " سَامٌ: أَبُو العرَبِ، ويَافِثُ: أبُو الرُّوم، وحَامٌ: أَبُو الحَبَشِ"[٧٥].

المطلب الثاني: صفاتُ نبيِ اللهِ نوحٍعليه السلام ووفاتُه.

١ – الصفات:

لقد خص الله عز وجل نبيه نوحًا عليه السلام بصفة شكره سبحانه، قال الله تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾[٧٦].

أي: " يا ذرية من حملنا مع نوح.. تشبهوا بأبيكم، فاشكروا نعمنا "[٧٧]. وعليه، فالشكور هو من يعمل بطاعة الله تعالى، قلبية كانت أو قولية أو فعلية، وصفة الشكر من موجبات رضا الله عز وجل عن العبد. **فعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِى بُرْدَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**"[٧٨].

٢ – الأمة:

ورد في الآثار أنّ قوم نبي الله نوح عليه السلام أول مَن عُوقبوا من الأمم. كما لم يكن على الأرض غيرهم من الأقوام والأمم. وقد جعلوا الأوثان في زمنهم آلهة تعبد من دون الله تعالى، ثم عبدتها العرب من بعدهم، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**﴾[٧٩].

و" هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوحعليه السلام. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أنْ انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت"[٨٠].

٣ – الوفاة:

ذكر القرآن أنّ نوحًا عليه السلام مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عامًا، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾[٨١]. وعن ابن عباسرضي الله عنهما أنه بُعث وله أربع مائة وثمانون سنة، وأنّه

عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فيكون قد تُوفّي نبي الله نوح عليه السلام وقد بلغ من العمر ألفًا وسبعمائة وثمانين عامًا، على أصحِّ الروايات، وهي أطول حياة عاشها إنسان(٨٢).

المبحث الثاني

القيم الحضارية الأخلاقية في الخطاب القرآني لدعوة نبي الله نوح ﷺ

لما كانت عقيدة التوحيد عقيدة ليست من صنع البشر، فهي من عند الله تعالى، كانت القيم الأخلاقية المترتبة على الإيمان بها لها خصائص وميزات ثابتة، لا تتبدل، ولا تتغير، فهي صالحة لكل زمان ومكان، قائمة ما بقي الزمان، على اختلاف البيئات وتتابع العصور، وإنّ الحق سيظل هو الحق لا يتغير ولا يتبدل. ولعل من بين هذه القيم الأخلاقية في خطاب نبي الله نوح ﷺ قيمة الصدق، والتي يمكن تناولها على النحو الآتي:

المطلب الأول: قيمة الصدق في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح ﷺ.

اتصف نبي الله نوح ﷺ بصفة الصدق، ويؤكد ذلك حديث القرآن عن الميثاق المأخوذ من الأنبياء والمرسلين بصفة عامة، وأولي العزم منهم بصفة خاصة، وقد عبر الله تعالى عنه بالميثاق الغليظ، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾(٨٣). " أي: واذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والشرائع والدعاء إلى الدين الحق"(٨٤).

والعهد هنا هو: " الاصطفاء والاختيار من الله لبشر أنْ يكون رسولًا وسفيرًا بين الله تعالى والخلق، وحين يصطفي الله رسولاً ليبلّغ الناس شرع الله، هذا الاصطفاء لا يرد، إذن، فهو عرض مقبول، وحين يقبله الرسول كأنّه أخذ عهدًا وميثاقًا من الله تعالى بأنْ يحمل رسالة الله إلى الخَلْق"(٨٥).

والميثاق المأخوذ من الأنبياء والمرسلين مسألة فيها إيجاب وقبول. فالآخذ في الآية الكريمة هو الله تعالى والمأخوذ منهم، هم الأنبياء والرسل – عليهم السلام – وقبول الرسول أو النبي– عليه السلام– للرسالة رضًا منه وارتضاء بما يريده الله تعالى من الميثاق والعهد، وهذا العهد – لا شك أنّه – متضمن كل الصفات المحمودة، ومنها: صفة الصدق في البلاغ عن الله تعالى.

وعليه، فبمجرد قبول النبي أو الرسول للرسالة، فإنّ ذلك يعد بمثابة ميثاق وعهد منه، جاء من طرف الله ﷻ، وهو الطرف الأعلى الذي يملي شروطه عليه؛ ولعل حيثية التوثيق ترجع إلى اختيار الله تعالى له، وجعله أهْلًا لاصطفائهم بحمل أمانة الرسالة.

وعليه، فقد قام نبي الله نوح عليه السلام بما أمره الله تعالى به من العمل بالميثاق والعهد المأخوذ منه على أتم وجه، ولعل ما يثبت ذلك من الآيات ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ**﴾(٨٦).
- قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾(٨٧).
- قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾(٨٨).
- قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم، قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا**﴾(٨٩).
- قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(٩٠).
- قوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾(٩١).

وفي الآية يذكر الله تعالى أنّ: " أول الرسل بعد آدم وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكره من بين ذلك من أولي العزم.. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له"(٩٢).

ولعل ما تجدر به الإشارة هنا: هو أنه من الواجبات الدعوية صفة الصدق، حيث إنّ مقصد دعوة التوحيد هو الهداية والارشاد إلى البر والتقوى، فكيف يمكن للداعية أنْ يحقق هذه الهداية ودعوته خالية من هذه الصفة؟ فالأصل الذي يجب أن يلتزم به الداعية هو الصدق في دعوته، حتى يبلغ ما أمره الله ﷻ به، إذ إنّ ما يبلغه

ليس تعبيرًا عن وجهة نظره الشخصية، كما أنّ صفة الصدق هي الأصل في حمل المدعوين على تصديقه والاستجابة لفكرته ودعوته.

المطلب الثاني: قيمة الأمانة في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام.

الأمانة لها قيمة كبيرة، وأهمية عظيمة في الإسلام؛ ولعل ذلك يرجع إلى ارتباطها الوثيق بجميع شرائعه، فهي في نظر القرآن الكريم صنو الحكم بالعدل، إذ إنّها تدفع الإنسان إلى الحكم بالعدل في الأمور التي تعرض عليه، ولعله السر في تقديم لفظ الأمانة على الحكم بالعدل في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾(٩٣).

" وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله ﷻ على عباده، من الصلوات والزكوات، والكفارات، والنذور، والصيام، وغير ذلك، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض، كالودائع، وغير ذلك مما يأتمنون به "(٩٤).

لذلك كانت الأمانة جوهر الإيمان، فإذا فقدها المرء المسلم فقد فَقَدَ جزءًا من أصل إيمانه، ويؤكد ذلك نفي النبيﷺ كمال الإيمان عن خائن الأمانة، حيث لا دِينَ كامِلٌ لمن يخون العهد والميثاق وينقضه، من دون عذر شرعي، **فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:" لاَ يَغُرَّنَّكَ صَلاَةُ رَجُلٍ وَلاَ صِيَامُهُ، مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى، وَلَكِنْ لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ** "(٩٥). ولعل الغاية من ذكر الحديث، هي ضرورة أنْ يظهر دين العبد وإيمانه في عمله، وعلى جوارحه، وفي سلوكه وتعاملاته مع الناس.

وترجع أهمية قيمة صفة الأمانة إلى أنّها تسهم في زيادة الثقة بين الناس، وتدعو إلى تحقيق المحبة والألفة، وزيادة الاطمئنان، وتساعد على التماسك بين أفراد المجتمع الواحد. وعليه، فالأمانة دليلٌ واضح بَيّن على صدق إيمان الفرد المسلم، وحُسن إسلامه والتزامه العملي بما أمر به الله – عز وجل – من الأحكام، والأخلاق، والآداب.

مما سبق يمكن القول، بأنّ المسلم الذي يتخلق بصفة الأمانة لا بدَّ أنّه يتحلّى بالأخلاق الكاملة، إذ إنّ الأمانة تعني التزام العبد بما أمر الله به وافترضه عليه من فرائض، وتكاليف، وواجبات، وأخلاق، لذلك كان المسلم المتحلي بصفة الأمانة مسلمًا حقًا.

وفي أمانة نبي الله نوح عليه السلام يذكر العلماء قولين، هما:

الأول: أنّه أمين على ما بعثه الله به, وكأنّه يقول:" أبلغكم رسالات ربي، ولا أزيد فيها، ولا أنقص منها"(٩٦).

الثاني: أنّه كان متخلقًا بخلق الأمانة، فإنّ قومه كانوا يعرفونه بصدقه وأمانته من قبل بعثته، كصدق وأمانة النبي ﷺ في قومه قبل أنْ يوحى إليه. والمعنى: " كنتُ أمينًا من قبل، فكيف تتهمونني اليوم؟ "(٩٧).

وينبغي الإشارة هنا، إلى أنّ الداعية يجب عليه أنْ يكون مشهودًا له بالصدق والأمانة بين الناس، مشهورًا بهما بينهم؛ حتى يُصدقوا بكل ما يدعوهم إليه.

ولعل في أمر القرآن بالعمل بصفة الأمانة سرًا خطيرًا، إذ إنّ أول ما ينزع الثقة بين الناس هو ضياع قيمة صفة الأمانة، حتى لا يكاد يثق الناس في بعضهم، ويمكن ملاحظة ذلك في أيامنا هذه، حيث أصبح الناس بهذه الصورة، وهو ما يؤكد الحديث الذي يرويه ابن المبارك، عن سمرة بن جندب مرسلًا، " **إنّ أول شيء يرفع من هذه الأمة الأمانة، والخشوع، حتى لا تكاد ترى خاشعًا** "(٩٨).

ويزيد الأمر تأكيدًا حديث حُذَيْفَة ﷺ، قَالَ **حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ. حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ. وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا، قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا أَظْرَفَهُ، وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ**

إِيمَانٍ. وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا "(٩٩).

ويمكن القول بأنّ: " حديث أبى هريرة وحذيفة من أعلام النبوة؛ لأنّه ﷺ ذكر فيها فساد أديان الناس وتغير أماناتهم، وقد ظهر كثير من ذلك"(١٠٠).

" ولقد شاهد الناس اليوم مصداق هذا الحديث عن رسول اللهﷺ فإنّك تستعرض الناس رجلًا رجلًا، حتى تبلغ إلى حد المائة أو المئات، لا تجد الرجل الأمين الذي أدى الأمانة كما ينبغي في حق الله، ولا في حق الناس"(١٠١).

هذا، ويُعد ضياع الأمانة من علامات الساعة وأشراطها؛ وهو ما حذر منه النبي ﷺ في الحديث، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، – رضي الله عنه– قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ"(١٠٢).**

ولعل الواقع المشاهد في الحياة التي نحياها، وظهور علامات آخر الزمان، بما فيه من التلون، والنفاق، والغش، والخديعة، والخيانة، لهو خير شاهد على رفع الأمانة من قلوب الناس، إلا من رحم الله ﷻ.

وتتجلى آثار تضييع قيمة الأمانة في العديد من المخالفات، منها: انقلاب الموازين الصحيحة للأمور، والتردي الاجتماعي والأخلاقي للمجتمع، حيث أصبح كثير من الناس لا يعرف المعروف، ولا ينكر المنكر، وبذلك عم الجهل، وكثرت الفوضى، وانتشرت الفواحش، وما يتبع ذلك من رفعة أسافل القوم على خيارهم، ليس ذلك إلا بسبب تولي الأمور من قبل من هو ليس أهلًا لها.

فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ، قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ "(١٠٣).

وها هو النبيﷺ يصف حال الأمة وما آلت إليه، حيث يصفها بأنّها تعيش مسلسلًا هزليًا، ليس فيه إلا الانحدار والسقوط، والإقصاء، حتى أنّ الجميع أصبح

يرى بعينه ما يحدث في الكثير من البقاع الإسلامية، حيث يوسد الأمر إلى غير أهله، ويُؤْتمن الخائن، ويُخّون الأمين، وليس ذلك إلاّ لأن الناس قد أضاعوا الأمانة.

مما سبق يمكن القول بأنّ: العلاقة بين الإيمان والأمانة علاقة وثيقة، فحيث يكون الإيمان ترقد الأمانة، وحيث يغيب الإيمان تتلاشى الأمانة. لذلك كانت الأمانة رمزًا للإسلام، وعنوانًا ودليلاً عليه؛ فهي أصل الفضائل، ومنبع الأخلاق والآداب التي يترتب عليها صيانة المال والعرض، بل وحفظ المجتمع كله من غوائل الفوضى والانحدار.

وحينما نقارن بين صدق وأمانة حضارة الإسلام التي تم تناولها في الصفحات السابقة وبين صدق وأمانة الحضارة الغربية(المعاصرة) نجد أنّ الصفتين منعدمتان تمامًا، وذلك لغياب الإيمان لديهم، فحيث تكون الأمانة يكون الإيمان، ولا أمانة لمن لا إيمان له، ولعل ما يدلل على تلاشي وجود الصدق والأمانة في هذه الحضارة ما كشفته قضية رواية سلمان رشدي، (آيات شيطانية)، والتي نشرت في بريطانيا عام١٩٨٨م، وتم حظرها في معظم البلدان الإسلامية في العالمين العربي والغربي، حتى وصل الأمر إلى حد الصدام.

غير أنّ هذه الرواية قد كشفت عن قدر كبير من الخيانة من جانب العالم الغربي، وهو ما يمكن تسميته بانعدام الصدق والأمانة، ذلك وأنّ الغرب قد ذكر حالة سلمان رشدي كدليل واضح على الطبيعة القمعية للمجتمع الإسلامي، وهذا مخالف للواقع تمامًا في دين الإسلام، أو في البلاد التي تعتنق الإسلام.

ففي نهاية القرن العشرين كانت حرية الأديب بالنسبة لحالة سلمان رشدي، أكثر قداسة عندهم من الدين الإسلامي، على الرغم من أنّ كثيرًا من المسلمين رأوا في رواية هذا الرجل تعرضًا ساخرًا للإسلام، فهي تُوحي بأنّ القرآن من ابتداعات النبي ﷺ(١٠٤).

وبعد العرض الموجز لما تم ذكره، يمكن للقارئ أنّ يفرق بنفسه بين صدق وأمانة حضارة الإسلام، وبين تلون وكذب هذه الحضارة المعاصرة المدعية الصدق والأمانة – زورًا وبهتانًا –.

وعليه، فإنّه يمكن القول بأنّ الصِّدْقَ والأمانة يفتحان الطريق لارتِقاء وعلوّ شأن الأممِ، فمَا من أمة تقوم بخداع غيرها من الأمم إلاّ ويضطرِبُ حالها، وتفقدُ مصداقيتها وتضلّ طريقها الصَّحيح، أمَّا الأمة التي تقِف من نفسِها ومن غيرها وقفةً صادقة، فإنَّها لا تَضِل ولا تُضَل أبدًا.

لذلك، كانت قيمة الصِّدْق والأمانة من القيم الضرورية والواجبة في حق الأمَّة الإسلامية قادة وأفرادًا، وذلك لنشْر الصدق بين أرْجاء عالم اليوم لتنتقل الأمة بهما إلى مرحلة جديدة من الجدِّ، والصرامة والمصارحة، والفاعليَّة التي تشعر الآخرين من أصحاب الديانات الأخرى بقيمة وعظمة الإسلام وما يدعو إليه.

فالصِّدْق والأمانة يؤثِّران في الدِّين، والأخلاق، والسياسة، والاجتِماع، والتفوُّق، فهما من أهم العوامل في انتِصارات المسلمين وحروبهم مع أعدائهم في كل عصر ومصر، فَصِدْقُ الإيمانِ بالآخرة عند المسلمين يورثهم قوَّة الدِّفاع عن عقيدتهم، والتزامهم بمتطلَّبات حياتهم، وبصدْق الالتِزامِ بالدين الحنيف تنهض الأمة الإسلامية مِن كبْوتها، وفي عدم الالتزام به مأساة إنسانيَّة بكل المقاييس، وجريمة أخلاقيَّة بكل الأعراف، فأيُّ رسالة يحملها مسلم لا صدق فيها ولا أمانة تكون سببًا في هلاك أمته وذهابها إلى الهاوية، وكما قال القائل:

إنّما الأممُ الأخلاق ما بقيت ... فإنْ همو ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

المطلب الثالث: قيمة الصبر في الخطاب الدعوي لنبي الله نوحﷺ.

منْ حكم البلاء في العباد في هذه الحياة الدنيا، هو تمييز الخبيث من الطيب، وبيان الصادق من الكاذب، ومن الحكم أيضًا رفع الدرجات، وتكفير السيئات، قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[١٠٥].

أي: " بقليل من ذلك، والقلة بالنسبة لما حفظهم عنه مما لم يقع بهم وأخبرهم سبحانه به قبل وقوعه، ليوطنوا عليه نفوسهم فإنّ مفاجأة المكروه أشد، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به، وليعلموا أنّه شيء يسير له عاقبة محمودة "(١٠٦) .

إذ لا يستطيع أحد من الناس أنْ يستغني عن الصبر بمختلف منازله، لأنّه لا يوجد أحد من البشر بعيدًا عن البلاء، لذلك كان أشد البشر بلاءً الأنبياء، وفي الحديث، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " **مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنْ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ**"(١٠٧).

والصبر له مقامٌ عظيمٌ في الدين، ولابد للمؤمن من الصبر لِمَا يواجهه في هذه الحياة من المشاق والصعوبات، حيث إنّه يصبر عليها طاعة لله عز وجل. والصبر منهج الأنبياء يقتدي بهم في ذلك أهل الخير والإيمان، وقد أمر الله تعالى نبيه محمدًا، فقال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾(١٠٨).

ولعل ما يدل على أهمية وعِظَم شأن الصبر أنّ الله تعالى قد ذكره في نحو تسعين موضعًا في القرآن، يقول الإمام أحمد بن حنبل: " وجدت أنّ الله ذكر الصبر في القرآن في تسعين موضعًا "(١٠٩).

كما يُؤكد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على تلك الأهمية بقوله: " الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد؛ فلا إيمان لمن لا صبر له " (١١٠). وقد صبر نبي الله نوح عليه السلام حتى حاز منازل الصبر بكامل مراتبها، في المدة التي مكثها في قومه، وذلك على النحو الآتي:

الأول: امتثاله الأمر بالصبر، امتثل نوح عليه السلام الأمر من ربه تعالى بالصبر، حتى نال الثناء من الله عز وجل لصبره وقوة تحمله، قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾(١١١).

ولعل من مشاهد الصبر عند نبي الله نوح عليه السلام أنه ظل يدعو قومه طيلة ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم سرًا وجهرًا، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ، ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**﴾(١١٢). ليلًا ونهارًا، قال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي**

دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾(١١٣). وما يتخلل ذلك من محاولة التودد والتحبب والتقرب لهم، طمعًا في إيمانهم، غير أنّه كان يُقَابَل بالصد، والإعراض، والاستكبار، والفرار، قال تعالى: ﴿**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا** ﴾(١١٤). أي: " لأجل أنْ يستجيبوا، فإذا استجابوا غفرت لهم.. ولكنّهم أبوا إلا تماديًا على باطلهم، ونفورًا عن الحق، ﴿**جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**﴾ حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام، ﴿**وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ**﴾ أي: تغطوا بها غطاء يغشاهم، بعدًا عن الحق وبغضًا له، ﴿**وَأَصَرُّوا**﴾ على كفرهم وشرهم"(١١٥).

الثاني: الرضا بأمر الله والانتهاء عما يُضاده، لذلك لم يستعجل نبي الله نوح عليه السلام عذاب قومه، حتى أوحى الله إليه أنّه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، بقوله: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾(١١٦).

" وكان هذا الوحي بعد أنْ مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله تعالى. فكان الرجل منهم يأتيه بابنه ويقول: يا بُني لا تُصدق هذا الشيخ، فهكذا عَهد إليَّ أبي وجَدّي. فلما نزل الوحي وأيس من إيمانهم دعا عليهم"(١١٧).

وقد اتسم نبي الله نوح عليه السلام بالصبرِ على سلوكياتِ وأفعالِ قومه طيلة الفترة التي قضاها بين قومه، وهذا من أدلِ الأدلةِ على أنّ بناءَ أي حضارةٍ يحتاج إلى فترةٍ ليست بالقصيرة، كما يتطلب ذلك صبرًا طويلًا؛ وذلك للاشتغال بأعمال التربية والتنشئة، والبناء، والتعمير، وكذا تحمل الصعاب والأزمات والمشكلات التي تمر بها على مر تاريخها.

المطلب الرابع: قيمة الحكمة في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام.

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة منهج قائم على الحوار بالحجة والبرهان؛ بغية تقرير المذهب أو الاعتقاد المراد تقريره وتثبيته في قلب السامع، وهو منهج جميع الأنبياء والمرسلين، قال تعالى مخاطبا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(١١٨). لذلك، كانت الدعوة بالحكمة

والجدل بِالّتِي هِيَ أَحْسَن منهجًا حضاريًا إسلاميًا متكاملًا، فهو يرسخ لأحد أهم المبادئ في الحوار البناء بين الناس وبعضهم، وبين الشعوب وبعضها.

يقول ابن عاشور(١١٩):" ومن الإعجاز العلمي في القرآن أنّ هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحقّ، وهي البرهان والخطابة والجَدل المعبّر عنها في علم المنطق بالصناعات، وهي المقبولة من الصناعات. وأما السفسطة والشعر فيَرْبَأُ عنهما الحكماء الصادقون، بله الأنبياء والمرسلين "(١٢٠).

لذلك كانت الحكمة من أسمى وأفضل الصفات التي يجب أنْ يتحلى بها المسلم بصفةٍ عامةٍ، والداعية إلى الله تعالى بصفةٍ خاصةٍ، وهى تشتمل على التأني في معالجة الأمور والقضايا، وكذا التروي في اتخاذ القرارات، أو هي مما يَعْتَمد على البصيرة في الأمور المعروضة. والحكمة من الصفات المهمة التي تجتمع فيها العديد من الصفات المتميزة مثل: الخبرة، والمعرفة، والفهم الجيد، والذكاء. لذلك كان الأنبياء والمرسلون يتميزون بخلق الحكمة في جميع أحوالهم.

وقد قام نبي الله نوح عليه السلام بتطبيق هذا المنهج الإسلامي في دعوته إلى الله تعالى؛ مستهدفًا بذلك صلاح قلوب قومه، قال تعالى مخبرًا عن سلوك نبيه نوح عليه السلام، لطريقة هذا المنهج، والذي انتظم في أمرين:

١- **القولُ:** والمقصود أنّه خاطب قومه بقوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(١٢١). وبقوله تعالى أيضًا على لسان نبيه عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾(١٢٢).

٢- **الفعلُ:** والمقصود أنّه لم يقتصر في الدعوة إلى الله تعالى مع قومه على الخطاب فحسب، وإنّما كان يذهب إليهم، كما تذكر الآيات، ليلًا ونهارًا بغرض الدعوة، قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام:﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا**﴾(١٢٣). وقوله تعالى على لسانه أيضًا: ﴿**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا، ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**﴾(١٢٤).

وهذا – بلا شك– دليل واضح على منهج الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى الذي كان يتبعه نبي الله نوح عليه السلام في هدايةِ وإرشادِ قومه، حيث إنّه كان يترصدُ – كما تحكي الآيات – الوقتَ الذي يظن فيه أنّهم أقرب إلى قبول الدعوة، من أوقاتِ النهار، وهي أوقات النشاط، وأوقات الليل، وهي أوقات الهدوءِ وراحة البال. وقد بَيّن الله – عز وجل – مدة بقائه فيهم على تلك الحال في قوله تعالى: ﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾(١٢٥).

وعلى الرغم من طول المدة التي مكثها نبي الله نوح عليه السلام في قومه، إلا أنّه لم ييأس من دعوتهم إلى عبادة الله – عز وجل – بل حاول أنْ يغير، ويُنوع، ويبتكر أساليب أخرى، يمكن أنْ يصل من خلالها إلى أسماع قلوبهم. لذلك، عَمَدَ نبي الله نوح عليه السلام إلى استخدام الحقائق العلمية الثابتة في دعوتهم إلى الله، كوسيلة لتوصيل منهجه ودعوته(١٢٦)، قال تعالى: ﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾(١٢٧).

" ومن الآيات التي أوضح فيها تلك الأطوار على التفصيل، قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾(١٢٨).

فهذا علم الأجنة يستخدمه نبي الله نوح عليه السلام في مخاطبة قومه (١٢٩)، وكأنّه يريد أنْ يقول لهم بذكره لهذا العلم. " أمنْ كان هذا حاله يليقُ به أنْ يكفر، ويتكبر، ويستغني عن الله؟ فلينظر إلى مبدئه ومنتهاه وما بينهما، مبدأه نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة. وهو بينهما حامل عذرة. كيف يكفر، وكيف يتكبر؟"(١٣٠).

" أي والله أوجد أباكم آدم من التراب، وجعله ينمو ويكبر كالنبات، وجعل نموكم معتمدًا على الغذاء من نتاج الأرض، وتحولها إلى نبات أو حيوان، ثم يعيدكم في الأرض، تموتون وتتحلل أجزاؤكم، حتى تعود ترابًا مندمجًا في الأرض، ثم يخرجكم أحياء منها بالبعث يوم القيامة، إخراجًا دفعة واحدة، لا إنباتًا بالتدريج كالمرة الأولى "(١٣١).

وعليه، فإنّ الطريق الذي سلكه نبي الله نوح عليه السلام في دعوة قومه يدل دلالة واضحة على ما كان يتميز به نبي الله نوح عليه السلام من الذكاء والفطنة، وهو ما يرجع إلى استخدامه لمنهج الحكمة والموعظة الحسنة في ممارسة العملية الدعوية.

ومع كل هذا الجُهد المبذول من طرف نبي الله نوح عليه السلام في سبيل هداية قومه، إلاّ أنّ البلادة المتجذرة في نفوسهم وقلوبهم أبت إلاّ الإباء، والكفر، الإعراض عن دعوة الله تعالى، قال تعالى في شأن ذلك: ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا، وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا، وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾(١٣٢).

هذا، ولما كانت الحكمة هِبَة الله تعالى يختص بها من شاء من عباده، قال الله: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾(١٣٣). وكان معناها: "الإصابة في القول والفعل، أو هي: معرفة معاني الأشياء وفهمها"(١٣٤). لذلك فهي: " العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والضار والنافع، والكامل والناقص، والخير والشر، ويبصر به مراتب الأعمال راجحها، ومرجوحها، ومقبولها، ومردودها"(١٣٥).

ولعل هذا المعنى هو ما رأيناه في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام لكنْ يبقى للدراسة سؤال ترى من الواجب الإجابة عنه، بشأن الحكمة عند الحضارة الغربية. والسؤال هو: ما درجة الحكمة لدى الحضارة الغربية؟ وما الاستراتيجية والتكتيك في عملها؟ ثم ما الإشكاليات التي واجهتها وكيف تغلبت عليها؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن القول بأنّ الحضارة المعاصرة تدّعي الاعتدال والتوازن في أقوالها وأفعالها. والحقيقة أنّها بخلاف ذلك تمامًا، ويرجع ذلك إلى ما آلت إليه ماديتها من الإلحاد ونبذ الأديان، وفي ذلك يقول محمد أسد: " الحضارة الغربية لا تجحد الله في شدة وصراحة، ولكن ليس في نظامها الفكري موضع لله، ولا تعرف له فائدة، ولا تشعر بحاجة إليه"(١٣٦).

إذ إنّها تملك القوة ولا تملك الحكمة، فهي لا تضعُ الشيء في موضعه، كما لا يوافقُ قولها فعلها، حيث إنّ موضع حكمتها في ترسانات الأسلحة الضخمة من كل

أسلحة الدمار الشامل. فأتباعها في الحقيقة يغلِّفون أفكارها وأهدافها بشعارات براقة،" كالدعوة إلى إطلاق الحريات، والدعوة إلى الفكر المستنير، النابذ لكل ما هو موروث من التراث القديم، على اعتبار أنه السبب في التخلف والانحدار والانحطاط"(١٣٧). وحيث إنّ "المدنية التي تتحكَّم فيها الآلات وتُسيطر فيها الصناعة، تموت فيها القلوب، ويقتل فيها الحنان والوفاء، والمعاني الإنسانية الكريمة" (١٣٨). وهذا ما جعلهم أشد الناس غطرسة واستكبارًا، الأمر الذي انعكس على تخلف عقائدهم، وأنظمتهم، وحياتهم الأخلاقية والاجتماعية.

ولعل السبب في ذلك أنّ الحضارة الغربية قد شُيدت " على أساس القطيعة مع الدين، إثر الصراع المرير مع الكنيسة، الذي حدث منذ عصر الأنوار في أوروبا، فكان أنْ أنتجت تلك الفلسفات– بمرور الزمن – نمطًا من البشر يشكون من الهزال الروحي، ويعانون من الشذوذ الأخلاقي، ويتأوهون من القلق واليأس، والتشظي واللاجدوى "(١٣٩) .

يقول د. عبد الوهاب المسيري: " وككلّ مشروع له مبادئ، أسس، وسائل وأهداف له مآلات أيضًا، هي عبارة عن نتائج نهائية غير متوقعة، ناجمة عن خلل في مبدأ ما، ومن بين أهم المآلات التي آلت إليها الحداثة الغربية بمبادئها ومجالاتها نجد مآل نزع القداسة عن الإنسان والعالم، انطلاقًا من التّموضع الذي يحتّله الإنسان الغربي ضمن المرجعية الكامنة"(١٤٠).

وقد بين د. المسيري طغيان هذه الفلسفة المادية البحتة وتعاملها مع الإنسان باعتباره شيئًا ماديًا بحتًا حيث قال:" يّتضح أنّ المنظومة الحداثية، الغربية، أدت في نهاية المطاف إلى إزاحة الإنسان عن المركز، وتفكيكه، ونزع القداسة عنه، واخَتزاله في إطار المرجعية الكامنة بحيث يرد إلى الطبيعة/المادة، ويصبح إنسانًا طبيعيًا ماديًا غير قادر على تجاوز ذاته الطبيعية المادية، ولا يتجاوز الطبيعة المادة؛ بحيث يسري عليه ما يسري على كلّ الظواهر الطبيعية من قوانين وحتميات، وهذا يعني أنّ الإنسان يفقد إنسانيته المركبة، وتُنزع عنه القداسة تمامًا"(١٤١).

وعليه، فهل من الحكمة أنْ تتجرع البشرية كل هذه المرارة حتى تقتنع بفشل أفكار العلمانية والحداثة، وغيرها من أفكار الحضارة المعاصرة؟ وهل من الصواب أنْ تدخل البشرية نارًا عظيمة فتحترق بها حتى تتأكد بأنّ ما تدعو إليه هذه الحضارة – بكامل أفكارها – إنّما هو شر مستطير، في حين اتهام علماء المسلمين بالتخلف والرجعية؛ لأنّهم يرون أنّ أفكار هذه الحضارة خطأ، وجهل، وسخافة، وأين هم المتشدقون اليوم بالتقدم، والتقنية، والتفكير العلمي؟.

وها هي الحضارة المعاصرة لا تزال تائهة ضائعة بما تقرره الأغلبية، وستبقى تائهة للأبد؛ لكونها تُنْكر المبادئ الدينية كمرجعية في الحوار، لذلك فهي لا يمكن أنْ تُكنّ احترامًا للآخر، بل وتفتقد القدرة على الحوار الناضج ما دامت تنبذ المرجعيات(١٤٢). يقول الفيلسوف رينيه جينون: " إنّ حضارةً لا تعترف بأي مبدأ أسمى، وليست مؤسسة في الواقع سوى على إنكار المبادئ، هي منزوعة من أي وسيلةٍ للتفاهم مع الآخرين، لأنّ هذا التفاهم لكي يكون فعالًا وعميقًا لا يمكن أنْ يأتي إلاّ منْ أعلى، أي: وبالتحديد مما ينقص هذه الحضارة المنحرفة وغير الطبيعية"(١٤٣).

والسبب في ذلك أنّها لا تخضع إلاّ للآراء الشخصية وللواقع وتأثيراته، أيهما أقرب وأقوى، حيث لم تعد تهتم كثيرًا بضرورة الوصول إلى الحقائق الفكرية، ولا بوجوب الوصول إلى الحق والمبادئ الصحيحة! بل أصبحت حضارة مادية، تتميز بالجَهالة، والحَماقَة, والتسرع, والتهور, وتدور أفكارها حول الاقتصاد، والمال، والقوة، والشهوة.

والسؤال هنا، هل يمكن بعد كل هذا أن يُقال: إنّ الحضارة الغربية تتسم بالصبر والحكمة؟ أم يقال: بأنّ حكمتها في ماديها البغيضة، وقوتها الباغية، وأسلحتها الظالمة الغاشمة، التي لا تعرف للناس معروفًا، ولا ترحم عجوزًا، ولا ضعيفًا.

وخلاصة القول أنّ الإنسانية قد ابتليت – منذ نشأتها – بحضارات نشأت عنها عدة فلسفات حاولت – بغيًا وعدوانًا – أنْ تطمس معالم الخير في حياة البشرية وتقطع صلتها بهدايات خالقها بفعلها للجرائم والجنايات، وهي في ذلك تتبع نهج الأمم الغابرة التي توافقت وتواثقت على محاربة أنبياء ورسل الله تعالى، بإفسادها للحياة نسلًا وحرثًا.

أما الحضارة المعاصرة فقد تفوقت بالفعل على الحضارات السابقة عليها في كثير من الجوانب، واستطاعت أنّ تحقق في عالم المادة طفرات كبيرة تذللت بسببها المشكلات والصعوبات، وتقاربت بها المسافات، ولا أظن أحدًا يمكن أنْ ينازع في فضل ما تفضلت به هذه الحضارة على غيرها وما وصلت إليه من تقدم تكنولوجي تقني، استطاعت أنّ تحققه وتنجزه مستفيدة من كسب الشعوب والحضارات السابقة عليها.

ويبقى هنا عدة تساؤلات ترددها الدراسة، منها: ماذا أفادت البشرية من كل هذا التقدم المادي الهائل؟ وهل حققت الحضارة المعاصرة الطمأنينة، والسعادة، والأمان المنشود في ظل التقدم التكنولوجي؟ ولماذا تتعقد مشكلات البشرية كمًا ونوعًا كلما قطعت هذه الحضارة أشواطًا في مضمارها التكنولوجي؟

ولعل الجواب هو أنّ ما تعانيه البشرية من شقاء نفسي وروحي مستعر، وظلم اجتماعي منكر ما هو إلاّ نتاج طبيعي لاتخاذ تلك الحضارة المادة بديلًا لتعويض البشرية عن منهج السماء الذي به يسعد الإنسان ويطمئن ويأمن. مخالفة بذلك مراد الله تعالى من خلق هذا الإنسان، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾(١٤٤). فهذه " الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه"(١٤٥).

ومنْ هنا كانت أعظم جناية اقترفتها الحضارة المعاصرة هي الخديعة التي قدمتها للبشرية بصورة مغلفة، حيث أوعزت لها بأنّ المادةَ هي السر الحقيقي وراء السعادة والاطمئنان، فانطلقت البشرية تلهث في جنون مستعر وراء الملذات والشهوات حتى غدت تجارة المخدرات والجنس التي تحصدُ أرواح ملايين البشر هي التجارة الأكثر رواجًا في هذا العالم، بل إنّ الكثير من دول العالم يتسابق في تأمين تلك الموارد التي تضمن له الرفاهية والتفوق. فكانت حركة الاستعمار والحروب التي أبيدت فيها الشعوب ونهبت فيها الثروات حتى يومنا هذا. وإنْ تعددت في ذلك المضمار الصور والأشكال.

لذلك كانت الحكمة هي أحد أهم الركائز التي تُبنى عليها حضارة الأمم، كما تقاس حضارة أي أمة بمدى تمسكها بقيمة الحكمة من عدمه، ففي غيابها يعني بالضرورة هلاك حضارة تلك الأمة وذهابها، لأنّ الحكمة كما هو معلوم هي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي، وهي من الأمور المفقودة في عالم اليوم؛ ففقه الأولويات، والتوازنات، والتنزيل، وفقه الخلاف، وفقه المقاصد... وغيرها، كلها مراتب تنضوي تحت لواء الحكمة التي أُمر المسلمون بتوخيها.

وذلك، لأنّه في غياب الحكمة كقيمة لها أهميتها الكبيرة يغيب الإيمان بالهدف؛ وتتلاشى الدقة والإتقان في العمل، وتتضاءل الرؤية ولا تتضح الأهداف التي يُراد الوصول إليها، فتجد الأفكار والخواطر مشتتة، بل قد يصل الحال إلى انعدام التفكير في البرامج العملية المثمرة التي تُنْتج، وتبدع، وتبذل في سبيل نهضة وبناء حضارة الأمة. وعند ذلك تهتم الأمة بأشياءَ بعيدة كل البعد عن نبض همومها واهتماماتها. وفي هذا التوقيت تقتصر حضارة هذه الأمة على الخطاب العاطفي الذي يُبنى على استثارة الأحاسيس والمشاعر؛ وهو ما قد يؤدي بالضرورة إلى خلل في البناء والفكر على مستوى الأمة. وبالتبعية يكون التلاشي والذهاب والهلاك.

المبحث الثالث

القيم الحضارية الاجتماعية في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام

تعدّ القيم من أهم الركائز الأساسية التي تُبنى عليها المجتمعات والأمم، ذلك لأنّها تتعلق بالمبادئ والأخلاق – بصفة خاصة – تعلقًا كبيرًا، فهي بمثابة المعايير العامّة الضابطة للسلوك الإنساني الصحيح، فالقيم الاجتماعيّة هي مجموعة الصفات المحببة والمرغوب فيها لدى أفراد المجتمع، والتي منها: قيمة العدل، والعلم، والاصلاح، والوسطية، والمواطنة.

وللقيم الاجتماعيّة دواع لنشوئها، وسُبُل لتعزيزها وبنائها، كما أنّ هناك أسبابًا تؤدي إلى غيابها وتلاشيها عن واقع المجتمعات والأمم، لذلك سوف تتناول الدراسة خمس قيم، جاءت في ثنايا الخطاب القرآني لدعوة نبي الله نوح عليه السلام كقيمة العدل، العلم، والإصلاح، والوسطية، والمواطنة، والتي كان من دواعي وجودها أنّها حق وصدق؛ لذلك كان هناك حتمية للتخلق بها بالنسبة للناس عامة، وللدعاة إلى الله تعالى خاصة، وكان من أسباب غيابها إعراض الناس عن دعوة الحق والعدل، دعوة توحيد.

المطلب الأول: قيمة العدل في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام.

يُعَدُّ العدل من القيم الحضارية والإنسانية التي جاء بها الإسلام، وقد جعله الله تعالى من مُقَوّمَاتِ الحياة الفردية، والأسرية، والاجتماعية، والسياسية، كما جعل تعالى من إقامة القسط – أي العدل – بين الناس هدفًا من بين أهداف الرسالات السماوية، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾(١٤٦).

فقوله: "﴿**لِيَقُومَ الناس بالقسط**﴾ علة لإنزال الكتاب والميزان. والقيام بالقسط أي: بالعدل يشمل التسوية في أمور التعامل باستعمال الميزان، وفي أمور المعاد باحتذاء الكتاب، وهو لفظ جامع مشتمل على جميع ما ينبغي الاتصاف به معاشًا ومعادًا "(١٤٧).

وحقيقة العدل في الإسلام ترجع إلى أنّه ميزان الله على الأرض، به يُؤْخَذُ للضعيف حَقُّه، ويُنْصَفُ المظلومُ ممن ظلمه، ويُمَكَّن صاحب الحقِّ من الوصول إلى

حَقِّه من أقرب الطرق وأيسرها، وهو أيضًا واحد من القيم الاجتماعية التي تنبثق من عقيدة الإسلام في مجتمعه؛ فلجميع الناس في مجتمع الإسلام حَقُّ العدالة وحقُّ الاطمئنان إليها.

والمراد بالعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًا فشر، من غير تفرقة بين المستحقين. ولأهمية العدل وقيمته، بعث الله الرسل – عليهم السلام– وأنزل الكتب، لنشره بين الناس. فهو قوام الدنيا والدين، وسبب صلاح العباد والبلاد، في كل زمان ومكان. لذلك، فالحضارة التي تُرْسي قواعد العدل لأبنائها يعيش أبناؤها حياة كريمة. ذلك وأنّ العدل مشعر للناس بالاطمئنان والاستقرار، محفز كبير لهم على الإقبال على العمل والإنتاج، الأمر الذي يترتب عليه نماء العمران واتساعه، وكثرة الخيرات، وزيادة الأموال، والأرزاق.

وتتجلى قيمة العدل في دعوة نبي الله نوح عليه السلام في رسالة التوحيد التي جاء بها مبشرًا، وبما فيها من الدعوة إلى الحق، والخير، والعدل، قال تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾(١٤٨). فالآية تدل على: " حكاية لما وجهه نوح لقومه من إرشادات، أي: قال لهم بتلطف وأدب تلك الكلمة التي وجهها كل رسول لمن أرسل إليهم : اعبدوا الله وحده لا شريك له، فإنّه هو المستحق للعبادة، أما سواه فلا يملك نفعًا أو ضرًا"(١٤٩). وعليه، فالعدل كل العدل في توحيد الله تعالى وإفراده بالربوبية والألوهية، إذ إنّ علم العبد واعتقاده واعترافه بتفرد الرب بكل صفة كمال هو عين العدل.

هذا، ولما كان الأنبياء والرسل– عليهم السلام– يشتركون في دعوة واحدة، وهي الدعوة إلى التوحيد – وهو الإسلام– وكان العدل هو القيمة المطلقة التي نادى بها الإسلام، وجعلها من مُقَوِّمَاتِ الحياة بصفة عامة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾(١٥٠).

وقال تعالى في مَثل "عظيم ضربه الله تعالى لنفسه وللمؤمن، في مقابل الأصنام التي تعبد من دونه تعالى، وهو مَثل يوضح الفارق الكبير بين الذي يأمر بالعدل، أي: بالتوحيد والاستقامة في كل شيء، ومن هو دون ذلك"(١٥١). ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ**

بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١٥٢]. إذن كان العدل من الأصول التي نادى بها نبي الله نوح عليه السلام.

ولما كان الأمر كذلك، كان العدل هو القاعدة الأساسية والمنهج الذي يجب أنْ يسير عليه المسلم في علاقته بالآخر، المماثل أو المخالف. ويشمل ذلك أيضًا كل العلاقات التي يقيمها المسلم على المستوى الفردي والجماعي والدولي، ومنها العلاقات بين الدول وبعضها، فالعدل هو القيمة الأولى التي يجب أنْ يلتزم بها المسلم كواجب أساسي في منشطه ومكرهه، في صداقته وعداوته، في قوله وعمله، في فعله وتركه[١٥٣]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[١٥٤].

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[١٥٥]. حيث لم يكن أحد أعدى للمسلمين ممن صدوهم عن المسجد الحرام وقاتلوهم، وأخرجوهم من ديارهم. أي: "ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء؛ لأنهم صدوكم... ﴿**أَنْ تَعْتَدُوا**﴾ عليهم بالقتل وأخذ الأموال"[١٥٦]. فالأصل أن تبنى القاعدة الأساسية في العلاقات الدولية على العدل، سواء في حالة الحرب أو في حالة السلم، وهذا هو منهج الإسلام في تعامله مع الآخر المماثل أو المخالف فردًا كان أو جماعة أو دولة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، إذا كان منطق ومنهج الحضارة الإسلامية هو منطق العدل في التعامل مع الآخر، فهل يتساوى منطق ومنهج الحضارة المعاصرة(الغربية) في التعامل مع الآخر المشابه أو المخالف بمنطق الحضارة الإسلامية؟.

وللإجابة على هذا التساؤل، يقول الكاتب صالح حصين: إنّ هناك خاصيتين أساسيتين تطبعان منهج العلاقات الدولية في الحضارة المعاصرة. أولاهما: هشاشة القوة الإلزامية لقواعد القانون الدولي المفروض أن تحكم العلاقات الدولية. ثانيهما: هشاشة الأساس الأخلاقي الذي يرتكز عليه هذا المنهج.

فمن الناحية الأولى، لا يمكن منطقيًا أنْ تتعايش دول ذات سيادة مع نظام قانوني دولي له طبيعة الأنظمة القانونية الداخلية، وفي هذه الحالة إما أنْ تكون الدول ذات سيادة حقيقية فلا تعترف بقوة أعلى منها. وفي هذه الحالة لا توجد قواعد قانونية ملزمة لمثل هذه الدول، وأما إنْ وجدت هذه القواعد فستكون ملزمة للدول ذات السيادة الشكلية، أي: أنّه ليس لها سيادة بالمعنى الصحيح، لذلك كانت نظرية قبول الدول لهذه الطبيعة الملزمة للقواعد مبنية على قبول الدول لها، كما أنّ بعض الناس يعتبر هذه القواعد مجرد قانون صوري(١٥٧).

ومن الناحية الثانية: فإنّ الحضارة المعاصرة بالنسبة للقيم الخلقية بوجه عام تعاني من :

أ- انحسار الإيمان بالله الذي يمكن أنْ يكون أساسًا للالتزام الأخلاقي، وكما يعبر د. هوفمان: عوض الغرب خسارته في الإيمان بالله بإيمان لا حدَّ له، بالتقدم الذي جعل العالم يبدو أكثر استنارة وعقلانية(١٥٨).

والسؤال هنا للحضارة المعاصرة هل استطاعت أخلاق التقدم أنْ تمنع حربين عالميتين وحشيتين استخدم فيها القصف الاستراتيجي على المدنيين المبنية على الردع المتبادل مع التهديد بالإبادة النووية، فهل يعتبر ذلك حكمة، وعقلًا، وعدلًا.

لذلك استنتج بعض مفكري الغرب أنّ الأحداث الرهيبة للقرن العشرين نفت إمكانية أنْ تعتمد الأخلاق على التقدم، وأنّه لا بد من تسليم الإنسان للأوامر الأخلاقية الإلهية، ولا شيء غير ذلك يمكن أنْ يضبط الأعمال الأخلاقية للأفراد والجماعات(١٥٩).

ب- "سياسة فكرة النسبية في القيم الأخلاقية، وليست النسبية محكومة دائمًا بالعقل والمنطق، ولكنها في الغالب- إنْ لم يكن دائمًا – محكومة بالهوى والوهم وإيحاءات الثقافة"(١٦٠).

مما سبق يمكن القول بأنّ حقيقة العلاقات العامة والعلاقات الدولية في الحضارة المعاصرة " ترتكز أساسًا- إن لم يكن كليًا – على المصلحة الوطنية والقوة،

وليس على القانون والأخلاق"[١٦١]. وعليه، فإنّ الحضارة المعاصرة لا تقوم في تعاملاتها على العدالة أو العدل، وإنّما يقوم منطقها على المصلحة فحسب.

غير أنّ العدل هو القيمة العظيمة المطلقة التي لا تقوم حضارة أي أمة من الأمم إلا بها، ولذلك يقال: " إن الله يقيم الدولة العادلة حتى وإنْ كانت كافرة. ولا يقيم الدولة الظالمة حتى وإنْ كانت مسلمة". والمقصود بالعدل هو تطبيق القواعد القانونية على الجميع بلا استثناء.

ومعظم الناس يدرك أنّ قيمة العدل كبيرة، لما لها من أثرٍ بالغٍ في حياتهم، فحاجة الناس والمجتمعات لها ضرورية، كما أنّ التمسك بها أساس في بناء حضارة أي أمة، فهو عنوان سعادتها، وغيابه عنوان لتعاستها، وهو السمة البارزة والعلامة الواضحة على قوة الأمة وسيادتها، وسر أمنها واستقرارها وبقائها. فبالعدل تصان الدماء، والأنفس، والأعراض، والأموال، والممتلكات، وبه تحفظ الحقوق، والحريات، والحرمات. وبالعدل يزجر أهل الفساد، ويعاقب أهل الظلم، ويقضى على الفساد، ويشاع الحق والأمن والاطمئنان، ويعم السلام والاستقرار، وينتشر الخير في كل أرجاء البلاد، وتبنى به البلدان وتزدهر وتتطور، وهو الأصل والأساس لوضع النظم والتشريعات الحاكمة وانتظامها لجميع أحوالهم في معاملاتهم وشؤون حياتهم.

ولعل من الثنائيات التي أمر الله تعالى بها المسلمين، هي ثنائية (العدل والإحسان)، حيث إنّ كلاهما يكمل الآخر، كما لا غنى لأحدهما عن أخيه. ولذلك جمعهما الله تعالى في آية عظيمة بقوله: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾[١٦٢].

فلولا إحسان النبيﷺ بعفوه عن أهلِ مكة بعد الفتحِ لما تحول أمثال عكرمة، وصفوان بن أمية، ومعاوية، ويزيد، ابنى أبى سفيان، وغيرهم، إلى قادة أسهموا في بناء الدولة الإسلامية الوليدة. ولما تمكنﷺ من إقامةِ دولةٍ مستقرةٍ متحابة. وهي منْ كانت أساسًا لبداية بناء حضارة الإسلام العريقة.

المطلب الثاني: قيمة العلم في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام.

أولى الإسلام العلم مكانة عظيمة، واهتم به اهتمامًا كبيرًا، ومما يدل على ذلك أنّ أول ما نزل من القرآن الكريم(١٦٣). هو قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾(١٦٤).

"وقد افتتحت السورة الكريمة بطلب القراءة من النبي ﷺ مع أنّه كان أميا لتهيئة ذهنه لما سيلقى عليهﷺ من وحي، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾. أي: اقرأ – أيها الرسول الكريم – ما سنوحيه إليك من قرآن كريم– ولتكن قراءتك ملتبسة باسم ربك، وبقدرته وإرادته، لا باسم غيره، فهو – سبحانه – الذى خلق الأشياء جميعها، والذي لا يعجزه أنْ يجعلك قارئًا، بعد كونك لم تكن كذلك"(١٦٥).

كما أنّ في قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ**﴾ دلالة واضحة على قيمة العلم، وعلو قدره وشأنه في حياة الأفراد والأمم، قال تعالى في شأن الذين يعلمون: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(١٦٦). وقد " أراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة، كأنّه جعل من لا يعمل غير عالم. وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم، ثم لا يقنتون، ويفتنون فيها، ثم يفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة، حيث جعل القانتين هم العلماء "(١٦٧).

وللمتأمل في القُرآن الكريم يجِد أنَّ العلم يعد من أكثر الموضوعات ذِكرًا فيه؛ فلا تكاد تَخلو سورة من سوَر القرآن إلا وتجد الحديث فيها عن العلم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مُباشرة. ولذلك فقد ورد لفظُ العلم بمشتقَّاته بما يزيد على ثمانمائة مرَّة (١٦٨).

وهذا إنْ دل فإنّما يدل دلالةً بينة على حِرص الإسلام على أنْ يكون أتباعُه مُحبِّين للعلم؛ لِما له من فوائد، وفضائلَ كثيرة. فبالعلم يَعلو قدْر الإنسان بين النَّاس، ويُصبح ذا مكانةٍ كبيرة بينهم، حتى وإنْ كان أصغرهم سنًّا.

فعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ: " كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾

حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ، قُلْتُ: لَا، قَالَ فَمَا تَقُولُ، قُلْتُ، هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ "(١٦٩).

وفي الحديث يظهر فضل العالم على مَنْ هو دونه، وقد ظهر فضل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على كبار صحابة النبي ﷺ حيث علا قدْرُه، وظهر فضلُه بينهم، وتبوء مجلسَهم، مع صغر سنه بعلمِه الذى فُضِّل به عليهم، وعلا به بينهم.

ولعل من فضائل قيمة صفة العلم ما يأتي:

- **العلم سبب للخروج من ظلمات الجهل إلى نور اليقين:**

بالعلم يستطيع الإنسان السَّيرَ في دروب الدنيا غير غافِل، ولا مُغرَّر به، فيَعرف الصَّالح من الطَّالح، والخيرَ من الشرّ، والصديق من العدو.

وبالعلم تَرتقي الشعوب وتنهض الأُمَم، ويعلو شأنها ومَجدُها بينَ غيرها من الأُممِ؛ فلا تُحرِز أمة منْ الأمم المجد والرِّفعةَ والتقدُّم إلَّا بالعلم النَّافع، المتمثل في العلمِ الشرعي قرآنًا وسنَّة، وفي العلم الدُّنيوي المتمثل في كثيرٍ منْ العلوم، كالطبِّ والهندسة، والفيزياء، والكيمياء. وبه أيضًا يتعرَّفُ الإنسانُ على علَّة خلق هذا الكون؛ وبه أيضًا يعرف المرء ما يحبه الله ويرضاه، مما يبغضه ويأباه.

والعلم سبب في ارتقاء الإنسان وسموه عن مَرتبة البهيميَّة إلى مرتبة العلماء؛ وقد أثنى الله تعالى على العلماء بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(١٧٠). أي: " إنّما يخشى اللهَ ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماءُ به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء "(١٧١).

- **العلم أفضل الوسائل في الدعوة إلى الله تعالى:**

يعد العلم من أفضل الوسائل وأهمها في الدعوة إلى الله تعالى. وللمتأمل في دعوة نبي الله نوح عليه السلام يتجلى له مدى اهتمامه بهذه الوسيلة المهمة؛ والتي استخدمها عليه السلام في دعوة قومه إلى توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ**

خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾(١٧٢).

أي: " مالكم – أيها القوم– لا تخافون عظمة الله وسلطانه، وقد خلقكم في أطوار متدرجة: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ولحمًا؟ ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض، وجعل القمر في هذه السموات نورًا، وجعل الشمس مصباحًا مضيئًا يستضيء به أهل الأرض؟"(١٧٣).

وهنا يُقال: إذا كان الله تعالى استطاع أنْ يخلقك أيها الإنسان عبر أطوار عدة، وأنْ ينبت لك الأرض بعد موتها، وهو أمر مشاهد محسوس بالنسبة لك، فإنّ ذلك دليل على قدرة الله في خلق هذه السموات، التي لم تر خلقها، وكذلك دليل على قدرة الله ﷻ على إحيائك ومحاسبتك في الآخرة.

ويؤكد ذلك استخدام نبي الله نوحعليه السلام لوسيلة العلم في دعوته إلى الله تعالى، ليقرر قضية " البعث وإمكانه مع الاستدلال على انفراد الله تعالى بالتصرف "(١٧٤). وذلك بقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام: ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الأَرْضِ نَبَاتاً، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً**﴾(١٧٥).

والآيات السابقات هي " دَلَائِل إِعْجَاز الْقُرْآنِ، أَنَّهُ يُبَيِّن الْحَقَائِق الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا أَحَد مِنَ الْمُخَاطَبِين بِهَا فِي زَمَن تَنْزِيلِهِ، بِعِبَارَةٍ لَا يَتَحَيَّرُون فِي فَهْمِهَا وَالِاسْتِفَادَة مِنْهَا مُجْمَلَة، وَإِنْ كَانَ فَهْم مَا وَرَاءَهَا مِنَ التَّفْصِيل الَّذِي يَعْلَمُه وَلَا يَعْلَمُونَه يَتَوَقَّفُ عَلَى تَرَقِّي الْبَشَر فِي الْعُلُومِ وَالْفُنُون الْخَاصَّة بِذَلِكَ "(١٧٦).

كما تدل هذه الآيات على أنّ الْإِسْلَام سابق للعلم الحديث، في كَثِيرٍ مِمَّا يظَنُّ أهل هذا العلم أنّهم قَدِ انْفَرَدُوا بِهِ في المسائل الكونية والنظام الإنساني.

- **العلم سبب في الثبات على الحق:**

ومما يبرهن على قيمة صفة العلم بالله تعالى عند نبي الله نوحعليه السلام ، هو ذاك الموقف الذي وقف فيه نبي الله نوح عليه السلام وحيدًا فريدًا – ثابتًا على دينه وعقيدته – في مواجهة طغيان قومه، متحديًا لهم، وليس ذلك إلا للعلم اليقيني الراسخ في قلبه رسوخ الجبال، وذلك عند احتدام الصراع بينه وبينهم، قال تعالى على لسان نبيه نوحعليه السلام: ﴿**يَا**

قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾(١٧٧).

أي: " إنْ كانَ عَظُمَ عليكم مقامي فيكم وتذكيري إياكم بحججِ الله وبراهينه فعلى اللهِ اعتمادي وبه ثقتي، فأعدُّوا أمركم، وادعوا شركاءكم، ثم لا تجعلوا أمرَكم عليكم مستترًا بل ظاهرًا منكشفًا، ثم اقضوا عليَّ بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم، ولا تمهلوني ساعة من نهار "(١٧٨).

وهنا ينتقل نبي الله نوح عليه السلام بقومه من مرحلة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، إلى مرحلة المواجهة والمقارعة بالحجة والبرهان على صحة ما جاء به، وبطلان ما سواه، وما تخلل ذلك من وعد بالمغفرة ووعيد بالعذاب العاجل والآجل، ثم التعريض بما حل بالأمم المكذبة المماثلة لإعراضهم وتكذيبهم.

- **العلم سبب لكسب أفضل وأعظم الصفات:**

والتي من بينها:

أ- التواضع:

المتأمل في خطاب نبي الله نوح عليه السلام يلحظ أنّه لم يَدّع علم ما لم يعلم، فقوله ينتهي إلى ما يعلم ولا يتجاوزه إلى ما لا يعلم. وهذه صفة العلماء الربانيين. وتأمل في قوله وهو يناقش قومه، بقوله تعالى على لسانه عليه السلام: **﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾**(١٧٩). وانظر إلى رده في الموقف الآخر، حين اعتذر له قومه عن الإيمان به وتصديقه، متعللين بقولهم: **﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾**(١٨٠). يرد عليهم رد العالم بيسر شديد قائلًا، إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي، موضحًا لهم الوظيفة التي كُلف بها من عند ربه تعالى، معلنًا بها أمامهم أجمعين، بقول الله على لسانه عليه السلام: **﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾**(١٨١).

ب- اليقين بما عند الله:

يتجلى مشهد الثقة واليقين بما عند الله في أمر الله تعالى لنوح عليه السلام بصنع السفينة في صحراء قاحلة، لا زرع فيها ولا ماء، مستمرًا في صناعتها، رغم سخرية

قومه منه، رادًا سخريتهم بتهديدهم بعذاب مخز مقيم، قال تعالى: ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾(١٨٢).

وهذا موقف آخر، وهو موقف اعتصام ابن نبي الله نوح عليه السلام بالجبل، وهو يرى فيه النجاة من الغرق، ونبي الله نوح عليه السلام يناديه بأنّه لا عاصم اليوم من أمر الله تعالى إلا منْ رحم، قال تعالى على لسان نبيه عليه السلام: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ، قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾(١٨٣).

وتأبى عاطفة الأبوة إلاّ طلب الرحمة للابن العاصي فيناجي نوح عليه السلام – طلبًا للرحمة، وطمعًا في العفو والمغفرة من ربه تعالى، بقوله عز وجل: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾(١٨٤). غير أنّ الله تعالى ما كان له أنْ يحابي أحدًا منْ الكفار لأنّه ابن نبي، فيرضخ نوح عليه السلام لأمر الله تعالى، وذلك لكمال علمه بالله – عز وجل – قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(١٨٥). فيستعيذ نبي الله نوح عليه السلام من الجهل، معتذرًا لربه عن سؤال مَا لَيْسَ له بِهِ علم، فيقول: ﴿**رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(١٨٦).

ويتأكد علم نبي الله نوح عليه السلام، وهو يدعو قومه إلى الاستغفار والرجوع إلى الله – عز وجل – بقوله تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا، مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا**﴾(١٨٧).

مما سبق يمكن القول بأنّ الآيات السابقة تنطق بعلم نبي الله نوحﷺ بالله وبأسمائه وصفاته العليا، والتي منها، أنّه: خالق، رازق، رحيم، غفور، تواب، محيي، مميت، فهو يتودد إليهم بما فيه الخير لهم، وبما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

ومن المشاهد السابقة أيضًا يمكن القول، بأنّه لا عجب من ثناء الله تعالى على نبيه نوح ﷺ بهذه الصفات والخلال، فهو العالم به سبحانه، الصبور على بلائه، الطامح إلى رحمته وغفرانه، قال تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**﴾(١٨٨).

هذا، وتبرز أهمية قيمة العلم في أنّه أساس لحضارة الأمم، فبه ترتقي وتتطور، ومن دونه تضمحل وتتخلّف، فالعلم نور، والجهل ظلام، قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾(١٨٩).

لذلك كان العِلم ولا يزال هو أحد أعمدة بناء حضارة الأمم، فبه تُبنى وتتقدّم، ويقضى به على الجهل، والتخلّف، والرّجعية، والفقر، والأمية، وغيرها من الأمور الّتي تؤخّر الأمّة. فالعلم من أهم ضروريات الحياة، كالمأكل، والمشرب، وغيرها، ولا يستطيع أحد أنْ يُنكر أنّ النّمو الاجتماعي والاقتصادي في أيّ أمّة مرتبط بالعلم، ولا يُنكر كذلك دوره في التقدّم والنّهوض بالدول، والبحث العلمي هو أحد أهم مستحدثات العلم الحديث الّذي يُساعد على التطوّر، فهو الرّكيزة الأساسية في تطوّر أيّ أمة، وتقاس حضارة الأمم بمستواها العلمي بجانب المستوى التّربوي، كما لا تظهر الأهمية الكبيرة للبحث العلمي إلاّ في المجتمعات الّتي تمتلك مشكلات حقيقية كمشكلة الإسكان، والتلوّث، والبيئة، والزّراعة، والنقل، وغير ذلك.

والسؤال الذي يطرح نفسه، وهو: هل ساعد العلم الحديث الحضارة المعاصرة(الغربية) في فهم طبيعة الأشياء على حقيقتها ووضع الأمور في نصابها، أم أنّ طغيان العلم والهيمنة التكنولوجية قد زادها بغيًا وإجحافًا؟.

في الحقيقة إنّ طغيان العلم والهيمنة التكنولوجية للحضارة المعاصرة قد زادها بغيًا وإجحافًا، وهذا – مما لا شك فيه – ليس من أخلقيات العلم في شيء. فللعلم قيمة أخلاقية واجتماعية، وهذه القيمة تنتج عن الأسلوب العلمي الذي يفرض على القائم

بالعلم خصائص معينة وفضائل اجتماعية تقتضيها سلامة المجتمع، وكذلك العالم من حوله. فالقائم بالعلم إنسان أو كيان ينهمك في البحث بأخلاقيات معينة فيتميز بالصدق، والصبر، والأمانة، والتعاون، والموضوعية، والاعتراف بالفضل لأصحاب الفضل.

وهذه الأخلاقيات هي: مجموعة من الضوابط والمعايير والاعتبارات الأخلاقية التي تضمن التعامل السليم مع التطبيقات العلمية, ويؤدي التمسك بها من قبل الأفراد أو الكيانات إلى توجيه المعرفة العلمية وتطبيقاتها لصالح الإنسانية، وعدم ظهور المشكلات والقضايا الأخلاقية التي تنجم عن سوء تطبيق العلم(١٩٠).

أو هي القضايا التي تثيرها تطبيقات العلم والتكنولوجيا في المجالات المختلفة مثل التسلح، الصناعة، إنتاج الغذاء، الزراعة، إنتاج الطاقة، البيئة، البحث العلمي والتي تتضمن خيارات ذات مضمون أخلاقي وتتطلب من الفرد مزيدًا من الاستقصاء والتفكير والتحليل في هذه الخيارات بحيث يستطيع اتخاذ القرار الأخلاقي في هذه القضايا(١٩١).

غير أنّ الناظر إلى الحضارة المعاصرة يراها لا تلتزم مطلقًا بأخلاقيات البحث العلمي فهي لا تتميز بالصدق أو الأمانة أو الموضوعية أو الاعتراف بالحق لأصحابه، وإنّما ذهبت لترسخ في براثن الجهل الذي حملها على ازدراء كل مخالف، وما هذا إلا علامة على بغيها، واستكبارها، وطغيانها.

ونظرًا لأنّ الجهل(١٩٢) يحوط هذه الحضارة الغربية فقد أخذت حكمًا خاطئًا مجحفًا، فنظرت إلى الإسلام على أنّه مجرد ديانة أو مجرد حركة سياسية أصولية، كما اعتقدت أنّ المجتمعات الإسلامية ذات نظرة متخلفة، وأنّها تعاني من القمع بسبب الدين، ولذلك فهي تُحْكَم بصورة لا إنسانية، وذلك عند مقارنتها بديمقراطيتهم العلمانية(١٩٣).

وما دري هؤلاء أنّ الإسلام " حضارة وأسلوب حياة يختلف من دولة إسلامية إلى أخرى، إلا أنّه ينشط ويحيا بروح مشتركة أكثر إنسانية مما يعتقد معظم الغربيين"(١٩٤).

وها هو العلم والتكنولوجيا التي تستخدم ضد مصالح الإنسانية، مخالفة لكل المواثيق الدولية والأخلاقيات العلمية. حيث التدمير، والإبادة، والقمع، والفساد الأخلاقي والاجتماعي. فمع بداية التسعينيات انهارت الدولة السوفيتية، وجاء الغزو العراقي للكويت ليعطي الفرصة الذهبية للمحتال الأمريكي ليبادر بوضع يده على بترول الشرق الأوسط وعائداته، فكانت (عاصفة الصحراء) أو حرب الخليج الثانية نقطة انطلاق نحو إقامة النظام العالمي الجديد الذي يكرس لزعامة المحتال الأمريكي(١٩٥).

مما سبق يمكن القول بأنّ العلم والتكنولوجيا والتقنية في الحضارة المعاصرة تعني: الفساد الأخلاقي والاجتماعي، والبغي، والكبر، والعناد، والغطرسة، والدمار، والخراب، وإهلاك الحرث والنسل، والإبادة، والقمع.

المطلب الثالث: قيمة الإصلاح في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام.

بدأت دعوة نبي الله نوح عليه السلام إلى التوحيد الخالص، بغية بناء العقيدة الصحيحة في نفوس متبعيه، والأجيال من بعدهم، ثم الانتقال من بعد ذلك إلى العمل بالتكاليف الشرعية، وقد سلك نبي الله نوح عليه السلام مسلك المتلطف في خطابه مع من يدعوهم حتى يَقبلوا دعوته إلى الله تعالى، وقد بذل نبي الله نوح عليه السلام قصارى جهده في سبيل هداية قومه وإصلاحهم، فاستحقَّ بذلك أنْ يكون قدوة حسنة، ونموذجًا يحتذى به في كل صفاته عليه السلام، للدعاة إلى الله تعالى، والمخلصين على مر العصور والدهور إلى يوم القيامة.

كما أنّ الناظر في الآيات التي ذكرت منهج نبي الله نوح عليه السلام الاصلاحي، يلحظ أنّه عليه السلام قد سلك منهجًا قويمًا في دعوته للإصلاح، وقد اشتمل منهجه على ثلاثة أصول، يمكن تفصيلها كما يأتي:

١- **الدعوة إلى توحيد الله تعالى وحده لا شريك له بالحجة الواضحة والبرهان القاطع،** " وبطاعة نفسه تنبيهًا على أنّ طاعة الله هي طاعة نبيه "(١٩٦)، قال تعالى:﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**﴾(١٩٧)، أي: " يا قومي إني نذير لكم بيِّن الإنذار من عذاب الله إنْ عصيتموه، وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحده، وخافوا عقابه،

وأطيعوني فيما آمركم به، وأنهاكم عنه، فإنْ أطعتموني واستجبتم لي يصفح الله عن ذنوبكم ويغفر لكم، ويُمدد في أعماركم إلى وقت مقدر في علم الله تعالى "(١٩٨).

ولعل ما يبين لنا معنى الإمداد في الأعمار، هو أنّ العقيدة الإسلامية – والتي تقوم على التوحيد الخالص لله تعالى– تُمكّن الإنسان المسلم من التعرف على ما يملك من مواطن الطاقة والقوة، ثم يقوم التوحيد بغرس قيمة التوكل على الله – عز وجل – الأمر الذي يحمل المسلم على مباشرة جميع الأسباب المتوفرة لدية، مادية كانت أو معنوية، فيقوم بإتمام العمل على أكمل وجه، كل ذلك وهو مستحضر للمعية الإلهية، ومستمد العون من الله تعالى، وهو ما يكون سببًا لأنْ يعيش الإنسان حياته في رخاء دائم، ورضا كامل في جميع نواحي حياته.

وعليه، فمجموع الأمرين: التوكل والأخذ بالأسباب يرسخ في الإنسان المسلم أركان الشخصية المتقنة لعملها؛ حيث إنّ قوة الشخصية ترجع في الأصل إلى قوة توحيد قلب العبد لله تعالى، فكلما زاد توحيده قويت شخصيته. والعكس، ولابد حتمًا من تحلي الشخصية الموحدة حق التوحيد بصفات تؤهلها للإتقان، والعمل في أي مجال يعرفه الإنسان. من هذه الصفات: العدل، الصبر، الصدق، الأمانة، التوكل، الإصلاح، الوسطية، التعايش، النشاط والجد، الشجاعة، الثبات، الرضا، حسن الصلة بالله، حسن المعاملة مع الناس، الالتزام بالضوابط الشرعية، التماسك عند عدم التوفيق.

٢– **الدعوة إلى إبطال كل ما يعبد من دون الله تعالى،** وذلك يكون بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿**أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾(١٩٩). أي: " أخلصوا العبادة لله وحده، واتركوا كل ما يعبد من دون الله. ﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ إنْ لم تقوموا بتوحيد الله وتطيعوني"(٢٠٠).

هذا، ويمكن للداعية أنْ يكشف عن أدلة بطلان عبادة كل ما يعبد من دون الله تعالى، من خلال معرفة ما يمكن اجتنابه في العصر الذي يعيش فيه قياسًا على العصور السابقة، فالوثنية مثلا قد تتشكل في صور جديدة قد تختلف عن صورها في العصور القديمة، كما هو الحال في العصر الحديث، حيث ظهرت الوثنية في صورة التمسّح بالمقابر والأضرحة، والاستعانة بها، والتماس النفع والضر والحوائج منها، وما

شابه ذلك، وهي العادات والتقاليد الاجتماعية التي ورثناها عن المجتمعات الجاهلية، وهي متنوعة تمارس في كثير من المناسبات، وفي المواسم، والأعياد.

وقد اتخذت الوثنية المعاصرة أشكالًا جديدة في العصر الحاضر، حيث تمظهرت في شكل مذاهب هدّامةٍ وباطلةٍ، والتي منها: الماركسية(٢٠١)، العلمانية(٢٠٢). والوجودية(٢٠٣)، الحداثة(٢٠٤). وغير ذلك، من المعتقدات والمذاهب القائمة على تقديس المال، والأشخاص والمادّية، والمُثُل، والقيم. وهي وثنيات بحسب التعريف الإسلامي الموسّع لها.

إنّ الهدفَ الأسمى والغايةَ العظمى التي يسعى إليها الإسلام من إبطالِ الوثنيةِ القديمةِ أو الحديثةِ، هو تقرير العبودية لله تعالى وحده وإفراده – عز وجل – بالألوهية والربوبية، والخنوع والخضوع المطلق له سبحانه في كل شيء، وأنْ تكونَ الحاكميةُ له وحده تعالى، كما أنّ الخلق، والأمر، والولاية، والتصرف، والعبادة له وحده لا شريك له سبحانه، وما يستتبع ذلك من تحريرِ الإنسانِ من الخضوعِ لغير الله – عز وجل – فالإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل وميزه به على سائر المخلوقات ليس مسخّرا للوثنيّة وأباطيلها، فتستعبده الخرافات والأوهام، إنّما هو كائنٌ بشريٌّ مميز، بتسخير الله له جميع ما في الكون، وقد استخلفه سبحانه وتعالى لعمارة الأرض، وجعله مفكرًا حرًّا مسؤولًا عن عمله.

قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾(٢٠٥). ويقول أيضًا: ﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾(٢٠٦).

ويقول أيضًا: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٢٠٧).

ومن هنا كانت حرية الإنسان في عبوديته لخالقه، وكرامته في تذلله وخضوعه له وحده، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾(٢٠٨).

٣- **الدعوة باللين، والإرشاد بالحجة والبرهان، مع قصد التخويف من عقاب الله تعالى في الآخرة**، فإذا ما تخلفَ الناسُ عن فعلِ ما أمروا به من توحيدِ الله تعالى، كان النصحُ باللين، والإرشادُ بالحجةِ والبرهانِ قال الله تعالى: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(٢٠٩). أي: " أتحرى ما فيه صلاحكم بناءً على أنّ النصح تحري ذلك قولًا أو فعلًا، وقيل: هو تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه، والمعنى هنا أبلغكم أوامر الله تعالى ونواهيه، وأرغبكم في قبولها، وأحذركم عقابه إنْ عصيتموه "(٢١٠).

إنّ التحلي بصفتي الرفق واللين منْ أهم الصفات التي يجب أنْ يتخلق بها الدعاة والمربيون؛ لما لهذه الصفات من عظيمِ الأثرِ في قبولِ التربيةِ والدعوةِ، حيث إنّ النصحَ بالرفقِ واللينِ من أهمِ الأسبابِ التي تفرض على الناسِ الالتفاف حول الدعاة، بل وتصديقهم والتلقي منهم، فالناس يمقتون العنفَ وأصحابَه، وينفرون بطبائعهم من الخشونةِ والفظاظةِ ويألفون الرقةَ وأهلها، كما أنّهم في حاجة إلى كنف رحيم، وقلب رفيق يسعهم، ولا يضيق بجهلهم، فيجدون عنده الرعاية والرفق واللين، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ والأنبياء – عليهم السلام – من قبله.

وقد قيل: " لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينه "(٢١١).

وقيل أيضًا: " الكلام اللين يلين القلوبَ التي هي أقسى من الصخر، والكلام الخشن يخشن القلوب التي هي أنعم من الحرير "(٢١٢).

ومِن هنا كان اللجوء إلى الرفق في التعامل مع الناس، واللين في خطابهم حتمًا لازمًا، وأمرًا لا بد منه؛ لأنّهما يُورثانِ المحبة، ويزيدان من المودَّة، ويُصيّران مدلولات كلام الداعية مسموعة، وأوامره متبوعة.

ومما ينبغي الإشارة إليه، أنّ الدراسة لا تُنْكر استخدام الشدة في حالة إذا ما كان الأمر يقتضي ذلك، ولكن الذي تنكره الدراسة وبشدةٍ، هو ترك وإهمال القاعدة الدعوية المهمة، وهي: (الرفق واللين في الخطاب الدعوي)، والجنوحُ مطلقًا إلى الشدة والغلظة.

كما تجدر الإشارة إلى أنّه لا ينبغي أنْ يُفهَم منْ ذلك أنّ الدراسةَ عند إقرارها العمل بالقاعدةِ الدعويةِ تقول بعدمِ إنكارِ المنكرِ على صاحبه، إذ إنّها لا تقصدُ ذلكَ مُطلقًا، ولا تُقره بحال منْ الأحوالِ، وإنّما كان مقصدُها هو تقديم اللين والرفق على الشدةِ والغلظةِ، وذلك في حالةِ استنفادِ جميعِ الوسائلِ المتاحةِ، التي يمكن أنّ تحققَ المطلوب. وعليه، فالواجبُ على الداعيةِ إلى الله تعالى أنْ يقومَ منهجُ دعوته إلى اللهِ ﷻ على الثلاثةِ أصول السابقة.

ويمكن التأكيد هنا على أنّ الخيريَّة والتوجه الإصلاحي هو أحد أهم الركائز الأساسية في بناء حضارة أي أمة، كما أنّ هذا الإصلاح لا تختص به الأمة وحدها، وإنّما هو مسؤولية مشتركة بينها وبين جميع الأفراد وكافة الطوائف الموجودة؛ فهي مسؤولية تضامنيَّة، وليست فرديَّة، حتى وإنْ كان أفراد هذه الأمة صالحين، فلا يُعْفيهم ذلك من المسؤولية.

وأرى أنّ هناك سؤلًا يلح على الدراسة الإجابة عليه، وهو ما مدى مقياس الإصلاح والفساد بالنسبة لأي حضارة؟. وللإجابة على هذا السؤال، يمكن القول بأنّه إذا قيل أنّه لا يجب قياس أي حضارة بما وصلت إليه الآن، ذلك وأنّ مقياس الحضارة لا يتمثل فقط في فضائلها، وإنّما يتمثل كذلك في مساوئها. فالحضارة المعاصرة مثلًا: قد تفضلت بإنتاجها لسُبل الاتصالات والتقنيات التكنولوجية الحديثة، والتي تم إيصالها إلى عدد غير قليل من البشر، عن طريق الشبكات الفضائية أو الاتصالاتية، بهدف

تقريب المسافات بين الأفراد والشعوب والدول. فهذه وسيلة خدمية أسهمت في توفير الوقت والجهد على الناس، وهذا من الإصلاح – لو تم استعمالها استعمالًا صحيحًا –.

وهذا، كما أضافت الحضارة الإسلامية إلى رصيد العدالة العالمية بعض الحماية من تحجيم فساد البشر الأخلاقي، فمن الناحية التاريخية كان الدين والحضارة يقاومان قوى الحضارة المعاصرة، التي أسهمت في أسوء ما شهده القرن العشرين من البربرية لبعض الفترات العنصرية والإبادة الجماعية والعنف داخل المجتمع(٢١٣). وما زالت هذه البربرية تمُارس على بعض الطوائف من قبل ما يُسمى بالحضارة المعاصرة إلى يومنا هذا.

في حين أنّ التاريخ الإسلامي يُثبت أنّه دائم الدعوة إلى الصلاح والإصلاح، ويؤكد ذلك خلو تاريخه من المحاولات المنظمة للقضاء على الشعوب وإبادتها، بخلاف الحضارة المعاصرة التي يؤكد تاريخها أنّها ما كانت تدعو إلى الصلاح والإصلاح، وإنّما جاءت لتثبت أركانها على أشلاءِ ودماءِ الشعوب، وتخريبِ الديارِ والعمران. ولعل ذلك يعود إلى أن طبيعة هذه الحضارة طبيعة عرقية، بخلاف طبيعة الإسلام غير العرقية نسبيًا، فلقد فتح الإسلام الأمصار عن طريق الاستيعاب والمصاهرة واعتناق العقيدة، وليس عبر الإبادة الجماعية(٢١٤).

مما سبق يمكن القول بأنّ الحضارة المعاصرة حضارة تقوم على الفساد والإفساد، ولا تقوم على الصلاح والإصلاح.

المطلب الرابع: قيمة الوسطية في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام.

الاعتدال والقصد والوسطية منهج قرآني، تعبّدنا الله سبحانه – عز وجل – به، في كل شأن من شئون حياة البشر، فالاعتدال والتوسط يعدل الكمال، وكلما انحرفت البشرية عن الاعتدال اتجهت إلى النقص وابتعد عن الكمال. لذلك كان قانون الحياة الرشيدة هو التوازن في كل ما أراده الله تعالى لعباده، والمسلم الحق هو ذلك العبد المتوازن في كل جانب من جوانب حياته، والخروج عن هذا المنهج في أي جانب من جوانب الحياة يُعد خروجًا عن قانون الحياة الرشيدة، كما يعد فشلًا لا محالة.

وعليه، فمن أراد أنْ يستكشف هذا المنهج الاعتدالي الوسطي فعليه بكتاب الله تعالى، فهو أصل الاعتدال والوسطية في كامل صورها التربوية، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، فوسطيته ثابتة لا تتبدل، ولا تتغير، مهما تغيرت الأزمنة أو الأمكنة، ليس ذلك إلا لأنّها تحمل صفة الربانية، لذلك فهي صالحة لكليها.

فالمسلمُ إنسانٌ معتدلٌ وسطي لا يطلب الدنيا على حساب آخرته، ولا يشقى بطلب الآخرة وينسى دنياه، فحياته ليس فيها تطرفًا، حيث لا إفراط ولا تفريط، إنّما هي وسطية واعتدال. قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾(٢١٥). ويصدق ذلك دعاء النبي ﷺ في الحديث **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِى دِينِي الَّذِى هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِى، وَأَصْلِحْ لِى دُنْيَاي الَّتي فِيهَا مَعَاشي، وَأَصْلِحْ لِى آخِرَتِي الَّتي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**"(٢١٦). فهذا الدعاء يكشف لنا عن وسطية وتوازن ما جاءت به الدعوة المحمدية، بين الدين والدنيا، وهو ما يجب أنْ يكونَ عليه الإنسانُ المسلم في الحياة الدنيا.

معالم الاعتدال والوسطية في دعوة نبي الله نوح عليه السلام.

والوسطيةُ والاعتدالُ هي شعار الإسلام منذ أنْ أرسلَ الله تعالى أنبياءه ورسله بدين الحق، من لدن نبي الله نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ. ولا شكَّ أنَّ الإسلام بهذه النظرة يتميز عن غيره من سائر الشرائع البشرية، حيث إنّ منهجه قائمٌ على هذه الصفة في كل علاقاته ومجالاته، والمسلم الحق هو الإنسان الوسط، والوسطية تعني الصراط المستقيم، وهي الهداية والخيرية بلا شك، وقد عبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿**وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾(٢١٧)، وقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(٢١٨).

ومن الوسطية والاعتدال التي دعا إليها نبي الله نوح عليه السلام ما يأتي:

١- الموازنة بين مطالب البدن والروح:

الموازنة بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي، أو بين الطاعة لله والعمل للدنيا سبب في استدامة النعم وزيادتها، كما أنّ الانغماسَ في أمورِ الدنيا ومجافاة الطاعةِ موجبٌ لحرمانِ نعمِ اللهِ على الإنسان، ومفهوم ذلك، أنّ منْ لم يستقم على الطريقة فقد يكون انحرافه أو شركه موجبًا لحرمانه من نعمةِ الله تعالى عليه " (٢١٩). لذلك دعا نبي الله نوح عليه السلام إلى أنْ يوازن قومه بين الواجبات البدنية والمتطلبات الروحية ، فقال لهم: **﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾**(٢٢٠). وقال تعالى أيضًا على لسانه عليه السلام: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾**(٢٢١).

٢- اللطف واللين والأناة في الدعوة:

إنّ منْ أهم الخصال التي دعا إليها الإسلام، الرفق، واللين، واللطف، والأناة، فهي صفات يحبُ الله تعالى أنْ يتحلى بها عبادُه، ففي التحلي بها طريق لنشر الألفةِ والمحبةِ بين الناسِ وبعضِهم، قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**(٢٢٢).

وما أروع الاعتدال والوسطية التي تشرق مع كل حرف تلفظ به نبي الله نوح عليه السلام مع قومه، فهو يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده بالرفق واللين، وهم يدْعُونه بالكاذب، ويسمون من آمن به بالأراذل، غير أنّ وسطيتَه تحتم عليه أنْ يقابلَ جهلَهم وحمقَهم بالحكمةِ، والأناةِ، والرفقِ، قال تعالى: **﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ، قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾**(٢٢٣). " أي: أخبروني إنْ كنتُ على بينةٍ موهوبةٍ منَ الله تعالى ونور، وبصيرة، وفطرة بالهداية، وآتاني الحق سبحانه: رَحْمَةً. أي: رسالة، بينما خفيت هذه المسألة عنكم، فهل أجبركم على ذلك؟ لا؛

لأنّ الإيمان لا بد أنْ يأتي طواعية بعد إقناع ملموس، وانفعال مأنوس، واختيار بيقين"(٢٢٤).

وقد جاءت نصوص الكتاب الحكيم متضافرة كي تحببَ في الدعوةِ إلى التلطفِ، والترفقِ، واللينِ، وتحض على ذلك، مؤكدة على أنّ هذا الخلق خلق عظيم، وهو مما يجب أنْ يسود في المجتمعِ المسلمِ، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(٢٢٥).

وحسب المسلم في ذلك أنّ صفة الرفق واللين من صفات الله تعالى العليا التي أحبها لعباده في الأمور كلها، **فعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: " اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ..**" (٢٢٦).

ويؤكدُ على ذلك قول النبيﷺ أيضًا، في الحديثِ **عَنِ الْمِقْدَامِ - وَهُوَ ابْنُ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ "**(٢٢٧).

فبالرفقِ واللطفِ واللينِ والسماحةِ تفتحُ القلوب المغلقة، لا بالشدةِ، والعنفِ، والزجرِ، ولهذا كان الرفقُ واللينُ من معالمِ دعوةِ نبي الله نوحٍ عليه السلام. فقد " تلطف لهم في القول "(٢٢٨)، ، بتكراره النداء في قوله تعالى: (يا قومي) عدة مرات.

وعليه، ففي الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام مع قومه، من اللين، واللطف، والرفق، وترك الغلظة، ما يعد معالم(٢٢٩) للدعاة إلى الله تعالى، في كل عصر ومصر، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾(٢٣٠).

" وهذا تلطف في الخطاب معهم، وترفق بهم في الدعوة إلى الحق"(٢٣١). حيث إنّه: " لا بد في الدعوة إلى اللهِ من اللينِ والرفقِ، وتركِ الغلظة "(٢٣٢).

والمتأملُ في الآياتِ السابقةِ يلحظُ أنّ نبيَ الله نوحًا عليه السلام بعد أنْ قامَ بتقديمِ الدعوةِ المكلفِ بها بحكمةٍ انتظرَ منْ قومه الاستجابةَ لدعوتِه، فما كانَ جوابَ قومه إلاّ أنْ قالوا: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾(٢٣٣). وهنا لم يكتف قومُ نبيِ الله نوحعليه السلام برفضِ دعوته، وإنّما وصفوه عليه السلام بأنّه في ضلالٍ مبينٍ. وليسَ هذا فحسب، وإنما حاولوا إبعادَ الناس عنه.

وعلى الرغم منْ هذا الاتهام الشديد الذي يُنْهي القضية منْ جُذورها، إلا أنّ نوحًا عليه السلام يخاطبُ قومه " مخاطبةَ خالي الذهن، مع أنّ القوم مصرون على وصفه بالضلال – على حد قولهم – فهو تنزيل للمنكر منزلة خالي الذهن"(٢٣٤).

وقد كان موقفُ القومِ يستوجبُ منْ نبي الله نوحٍ عليه السلام نفي كل ما اتهمه به قومه بكلِ قوةٍ، تضارع قوةَ المعاندين للدعوةِ، غير أنّ نبيَ الله نوح عليه السلام ساقَ الحديثَ بلينٍ وسهولةٍ ويسر، بقوله: ﴿**يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

وقول نوح عليه السلام ﴿**يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ**﴾ هو " منْ أحسن الردِ وأبلغه؛ لأنّه نفى أنْ تلتبس به ضلالة واحدة، فضلًا عن أنْ يحيطَ به الضلال، فكانَ المعنى: ليس بي نوعٌ منْ أنواعِ الضلالةِ البتة. فكان هذا أبلغ في عمومِ السّلب، فلو قال: لست ضالًا لم يؤد هذا المعنى"(٢٣٥).

" وفي إجابةِ الأنبياءِ – عليهم السلام – من نسبهم إلى الضلالِ والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلامِ الصادر عنْ الحلمِ والإغضاءِ وتركِ المقابلةِ بما قالوا لهم، مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ الناس وأسفههم – أدب حَسَن وخُلُق عظيم، وحكاية الله ﷻ ذلك تعليم لعبادِه كيف يخاطبونَ السفهاءَ وكيف يغضونَ عنهم "(٢٣٦).

مما سبق يمكن القول بأنّ ما سلكه نبيُ الله نوحٌعليه السلام مع قومه هو دعوةٌ إلى الاعتدال والوسطية ونبذ الغلو والتطرف في دعوة الآخر لأجل أنْ يتم تبليغ الرسالةِ المكلفِ بها على خيرِ وجه، فتؤتي أكلها، دون إثارة أحقاد، وبعث ضغائن.

لذلك كانت الوسطية من أهم القواعد الضرورية لقيام أي حضارة. فهي تعني استغلال جميع الطاقات والجهود في القيام بعملية البناء، والتعمير، والتربية، والعلم،

والثقافة، من غير إفراط ولا تفريط، إذ إنّها تحقق التوازن بين الدين والدنيا، وبين الفرد والجماعة، وبين المثالية والواقعية، وبين العقل والقوة، وبين المادة والروح.

ولعل من وسطية الإسلام أنّه كان ولا يزال مقاومًا للعنصريةِ التي تثيرُ الكثير من الأحقادِ، وتبعث على الضغائنِ بين البشرِ وبعضهم، وقد جعل القرآنُ الكريم معيارَ التفوقِ والامتيازِ هو الأخلاق أو الدين، أو التقوى والعمل الصالح، وليس لمعيارِ الجنسِ أو اللونِ أو العرقِ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾(٢٣٧).

"والمعنى : خلقناكم – أيها الناس – من ذكرٍ وأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل ﴿**لتعارفوا**﴾ أي: ليعرف بعضكم نسب بعض، فينتسب كل فردٍ إلى آياته، ولتتواصلوا فيما بينكم وتتعاونوا على البرِ والتقوى، لا ليتفاخرَ بعضكم على بعضٍ بحسبه أو نسبِه أو جاهه"(٢٣٨) .

كما أنّ الإسلام ليس له شعب مختار، وهذا بخلاف الحضارة المعاصرة(الغربية) حيث إنّها لا وسطية فيها، فهي تتعامل بالعنصرية من يوم تمكنها، فمنذ أنْ "اعتنق الإمبراطور الروماني المسيحية عام٣١٣ ميلادية وتزعم الأوربيون المسيحية، إنْ لم يهيمنوا عليها، على أنّ زعامة العالم الإسلامي تغيرت عدة مرات، من الأمويين العرب(٦٦١– ٧٥٠) إلى العباسيين المتعددي القوميات(٧٥٠– ١٢٥٨)، إلى الإمبراطورية العثمانية(١٤٥٣–١٩٢٢) التي سيطر عليها الأتراك.." (٢٣٩).

وفي العصر الحديث كان منْ بينِ رؤساءِ مصر الأربعة، منذ ثورةِ عام ١٩٥٢م اثنان منهما منْ أصول أفريقية، هما محمد نجيب، وأنور السادات" (٢٤٠).

المطلب الخامس: قيمة المواطنة وقبول الآخر في الخطاب الدعوي لنبي الله نوح عليه السلام.

إنّ القيم الحضارية الإسلامية جسر حصين، وسياج منيع، صان بها الإسلام دماء البشر أنْ تُسفك، وأعراضهم أنْ تُنتهك...إلخ. كما أنَّ هذه القيم الحضارية تدعو إلى حماية الإنسان، من خلال احترام عقله والحفاظ على أهله، وممتلكاته، ومنْ أجل هذه الحماية الإلهية للبشرية حددت الشريعة الإسلامية لنفسها مقاصد، حيث إنّ " المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح

المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان. ويشمل صلاحه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه، من موجودات العالم الذي يعيش فيه "[٢٤١]. وهذا يعني أنَّ الكرامة الإنسانية المطلقة بذلك المفهوم تمثل أساسًا للمواطنة والتعايش السلمى بين البشر جميعًا.

كما أنَّ الإسلام المتمثل في الدين والدولة له سياساته العامة التي يعيش الأفراد كلهم في ظلالها، هذه السياسات مبنية على قيم المساواة والعدالة، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..**﴾[٢٤٢].

يقول النبيﷺ في أمر المواطنة والتعايش السلمي بين الناس، في الحديث: **عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ. وَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ"[٢٤٣].**

وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي عَمَنْ شَهد خُطْبَةَ النَّبِيﷺ فِي أَوَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ, قال: " **قَالَ رَسُولُ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، إلاّ بِالتَّقْوَى، ألا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ, ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، قَالَ: فَلاَ أَدْرِي قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لاَ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا, أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"[٢٤٤].**

وعليه، فالإسلامُ دينٌ ودولةٌ يدعو إلى التخلقِ بالقيم، والتحلي بالأخلاقِ مع الجميعِ، وذلك بكفالته للحقوقِ والواجبات، مسلمينَ وغيرِ مسلمين، فهو يدعو إلى

الإيمانِ بكافةِ الرسالاتِ السماويةِ المرسلة، وبالأنبياء جميعًا، وعليه، فإذا حدثَ سلوك يتنافى مع القيمِ الإسلامية، فإنَّ هذا السلوك يجب أنْ يحسب على صاحبه، حتى وإنْ كان مسلمًا(٢٤٥).

وللتأكيد على أنّ الإسلامَ هو دين القيم الحضارية السمحة ما شرعه للمسلمين في أمرِ المواطنةِ والتعايش السلمي مع الآخرِ المخالف لهم عقيدًة وفكرًا، على أساس من قيمِ البرِ والرحمةِ، وتحري العدل في معاملاتهم، وقد رسخَ الإسلام بذلك مجموعة من القيمِ الحضارية التي تجعل المسلمين يعيشون تعايشًا سلميًا مع أهلِ الدياناتِ الأخرى، تحت رايةِ السلامِ الاجتماعي في شتى أمورِ الحياة(٢٤٦).

لذلك كان " الإسلامُ هو النظام العالمي الوحيد الذي احتوى على تشريعات يمكن أنْ يعيشَ العالم في ظلها في سلامٍ ووئام، ولو في شبرٍ واحدٍ من الأرضِ، يهودًا ونصارى ومسلمين، بل وملحدين، إذا رضخوا لتوجيهاتِ الإسلام مع بقائهم على عقائدهم، دون أنْ يضيقَ الإسلام ذرعًا بأحدٍ منهم. وهذا ما لا وجود له في أي نظامٍ آخر على وجهِ الأرض"(٢٤٧).

من ذلك يمكن القول، بأنّ الإنسانية الحقة التي دعا إليها الإسلام، وشرع القيم والأخلاق منْ أجلِ الحفاظِ عليها، إنّما هي دعوة للتآلفِ، والتسامحِ، والتراحمِ، والاحترامِ، والإحسانِ. وهذه الصفات في ذاتها أساس للتعايش السلمي بين البشريةِ جمعاء، بما يحققُ النفعَ العام للمجتمعِ كلِه، وهذه المعاني السامية لا تخلو منها رسالة سماوية من لدن نبيِ اللهِ نوحٍ عليه السلام حتى رسالة النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾(٢٤٨).

" ومعنى الآية شرعنا لكم ما شرعنا للأنبياءِ دينًا واحدًا في الأصول، وهي التوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتقرب بصالح الأعمال، والصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وتحريم الكبر، والزنا، والإيذاء على

الحيوان، واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروءات. فهذا كله مشروع دينًا واحدًا، وملة متحدة، لم يختلف على ألسنةِ الأنبياءِ، وإنْ اختلفت أعدادهم "(٢٤٩).

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ، وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾(٢٥٠).

وإنّها لدعوة نبي الله نوح عليه السلام لتطبيقِ مبدأِ المواطنةِ والتعايش السلمي مع الآخر، المختلفِ في العقائدِ والأفكارِ، والتصوراتِ بما فيها من التعاملِ الحضاري الإنساني، المفعم بالاحترام والتقدير، بغض النظر عن اختلافِ الأفكارِ، والمعتقدات، وهم منْ " نظروا إلى الجانبِ الجثماني الدنيوي، وجهلوا الفضائلَ، والكمالات النفسانية، والعطايا اللدنية "(٢٥١). في تعايشهم مع الآخرِ المختلفِ عقيدًة، وتصورًا، وفكرًا، فأعرضوا عن الإيمانِ بنبيهم نوحٍ عليه السلام، وذلك في قوله تعالى على لسانهم: ﴿**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾(٢٥٢).

فالملأ من قوم نبيِ الله نوحٍ عليه السلام رفضوا مبدأ المواطنةِ والتعايش مع منْ لا يساويهم في الجاهِ، أو السلطانِ أو المالِ، ونظروا إليهم نظرةَ ازدراء، عازمين على طردهم ، قال تعالى على لسان نبيه عليه السلام ﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ** ﴾(٢٥٣). ذلك لأنّ الملأ من قوم نبي الله نوح عليه السلام هم " المنتفعون بالفساد "(٢٥٤) الواقع على هذه الزمرة بعينها، " فهذا الملأ الكافر مِنْ قومِ نوحٍ عليه السلام قد حكم بأنّ الضعاف أراذل بالمقاييس الهابطة، لا بالمقاييس الصحيحة، ولو امتنع هؤلاء الذي يُقال عنهم " أراذل " عنْ خدمةِ منْ يُقال لهم " سادة " لذاقَ السادةُ الأمرَّين، فهم الذين يُقدِّمون الخدمة "(٢٥٥).

غيرَ أنّ نبيَ الله نوحًا عليه السلام يصحح للملأ من قومه هذه النظرة السطحية، بقوله تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾(٢٥٦). وهكذا أخذ نبي الله نوح عليه السلام يوضح للملأ من قومه أسباب إعراضهم عن مبدأ المواطنة والمعايشة الحضارية مع من هم دونهم، بوصفهم أنّهم قوم يجهلون، بمعنى: يتسافهون على المؤمنين ويدعونهم أراذل(٢٥٧). وبظنهم الخاطئ أنّ الإيمان بالله تعالى يتطلب جاه أو سلطانًا، أو ثراءً، أو علم غيب، أو نحو ذلك.

لذلك، ينفى نبيُ الله نوحٌعليه السلام عنْ نفسه باعتباره الرسول المرسل كل ما توهمه هؤلاء، بأنّه لا يملك خزائنَ الله تعالى، فهو لا يملك شيئًا مثله مثل هؤلاء الضعفاء، كما لا يمكن له معرفة شيءٍ عن الغيبِ، فالغيبُ لا يعلمه إلا الله تعالى وحده. كما يؤكد أنّه من جنسِ البشر، وليس من جنسٍ آخر، لذلك فهو لا يملك أنْ يجبرهم على التصديقِ والإيمانِ بالله والطاعة له.

وعليه، فإنّ نبيَ اللهِ نوحًا عليه السلام يؤكد للملأ منْ قومه أنّ المرضَ الذي ابتلاهم الله – عز وجل– به، وهو رؤيتهم النفس والذات، منعهم من سلوك قيمة مبدأ المواطنة والتعايش السلمي الذي حرموا منه في تعاملهم مع الآخرين، فهو لا يتسنى لهم، إلا حينما يكتمل علمهم يقينًا، بأنّ اليقين الإيماني " لا علاقة له بالثروة، أو الجاه، أو الفقر والحاجة، ولا يُخْلِي رسولٌ مكانًا من أتباعه الفقراء ليأتي الأغنياء، بل الكلُّ سواسية أمام الله سبحانه وتعالى"(٢٥٨).

مما سبق يمكن القول بأنّه كان يلزم الملأ منْ قوم نبيِ اللهِ نوحٍ عليه السلام أنْ ينظروا إلى مبدأِ التوازنِ الاجتماعي بين الناسِ أجمعين، ومعناه: أنّ الجميع عند الخالقِ سواء، فالكل عبيده، وليس لأحدٍ بينه وبينَ خالقه تعالى قرابة أو نَسَب، فالجميعُ متساوون كأسنان المشط، لا فَرْق لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى والعملِ الصالح. وإنْ تفاوتت أقدار البشرية فيما بينها في الحياةِ، فما هو إلا تفاوت شكلي ظاهري؛ فلا يمكن النظر إلي أي إنسان من زاويةٍ واحدةٍ، فيقال: هذا غني، وهذا فقير، ثم يترك باقي الزوايا الأخرى.

فهذا لا يصح مطلقًا، والصحيح أنْ تكون نظرة هؤلاء إلى الأشياءِ نظرة شمولية، بمعنى النظر من جميعِ الجوانبِ في حياةِ كل إنسان، أو النظر إلى الزوايا المختلفة في النفسِ البشرية، فلو أنّ هؤلاء المنكرين للدعوةِ سلكوا هذا الطريق في رؤيتهم للاحظوا أنّ: " مجموع كل إنسان يساوي مجموع كل إنسان، وأنّ الحصيلة واحدة... وما دام المجتمع الإيماني على هذهِ الصورة، فلا يصح لأحدٍ أنْ يرفعَ رأسه في المجتمعِ ليعطي لنفسهِ قداسةً، أو منزلةً فوق منزلة الآخرين"(٢٥٩).

هذا هو التعايش السلمي في ظل الإسلام، والذي يُعّد أحد أهم الدعائم الرئيسة لبناء حضارة أي أمة، وهو ما يعني قيام تعاونٍ وثيقٍ بين أفرادِ المجتمعِ الواحدِ، وكذا

بينَ جميعِ أفرادِ المجتمعاتِ على أساسٍ من التفاهمِ وتبادلِ المصالحِ الاقتصاديةِ والتجاريةِ، والنظر إلى العالمِ على أنّه قرية صغيرة، وأنّ تقبلَ الآراءِ والتفاهمِ والعيشِ المشتركِ يحصنُ المجتمع من المخاطرِ المحيطةِ به، كما ينبغي أنْ يكون هذا التعايش مبنيًا على الثقة، والاحترام المتبادل، والرغبة الحقيقية في التعاون المثمر، من أجلِ النفع العام، والنهوضِ بالمجتمعاتِ.

هذا هو سمت وصفة الحضارة الإسلامية في التعامل مع الآخر القريب، فهي تقبله لكونه مواطنًا شأنه في ذلك شأن كل المواطنين الذين يعيشون معه، لا فرق بينه وبين غيره، فله ما على المسلم، وعليه ما عليه، وفي شأن التعامل مع الآخر البعيد فهي تنظر إليه بمبدأ التساوي والتوازن الاجتماعي بين الخلق أجمعين، ومعناه: أنّ الجميع عند الخالق سواء، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾(٢٦٠). أي أنّ الجميع" من آدم وحواء – عليهما السلام – فالكل سواء في ذلك، فلا وجه للتفاخر بالنسب"(٢٦١).

لكنْ دعونا نتساءل إذا كان هذا هو سمت الحضارة الإسلامية، فما سمت وصفة الحضارة المدنية المعاصرة؟ وكيف تنظر إلى الآخر القريب والبعيد؟. وللإجابة على هذا التساؤل، لا بد من معرفة أصول تلك الحضارة، وعلى ماذا تقوم، حتى يتسنى للدراسة الوصول إلى المراد من نشوئها، ومن ذلك يمكن بيان الفارق بينها وبين الحضارة الإسلامية.

" تتمثل أبرز الأسس الفلسفية للحضارة الغربية في الفلسفة المادية وما تبعها من الإلحاد والتمرد، ونبذ الأديان، وما آلت إليه في العصر الحديث من الليبرالية وما تبعها على الصعيدين السياسي والاقتصادي من الديمقراطية والرأسمالية "(٢٦٢).

لذلك كانت الحضارة المعاصرة مُشبعة بالأفكار السياسية والأيديولوجية، فهي تدعو إلى الصراع والحروب والسيطرة على مقدرات الشعوب الأخرى. وهذا ما شهدناه خلال القرن العشرين، حيث المعسكر الغربي الرأسمالي، والمعسكر الشرقي الاشتراكي، والمعسكر الوسط المسمى بمعسكر عدم الانحياز. وهو ما أدى إلى قيامِ معسكراتِ

اقتصاديةٍ وسياسيةٍ متنافسة، أوصلت البشرية إلى فتراتٍ حرجةٍ جدًا، كادت أنْ تعصفَ بالجنسِ البشري كله.

ولعل من الأسباب والعوامل التي أدت إلى تلك المرحلة الحرجة، هو إهمال الآخر كإنسان، واعتباره وسيلة للوصول الى المُثل العليا – من وجهة نظر الحضارة الحديثة التي تقوم على المنافع والمصالح – وليس باعتباره إنسانًا له قيمته وكرامته. بالإضافة إلى ذهنية العدوان والكراهية ضد الآخر كوسيلة لضمان المصلحة الذاتية. وعقلية النهب والسلب لخيرات الشعوب المغلوبة، ومحاولة طمس حضاراتها وثقافاتها العريقة.

ومع كل هذه السلبيات البغيضة إلا أنّ الحضارة المعاصرة تبدو وكأنّها راسخة الدعائم – في شكلها الخارجي– وثيقة البناء الداخلي، بما أنتجته من سُبل الاتصالات الحديثة والتقنيات التكنولوجية وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن من البشر، سواء عن طريق الانترنيت أو الشبكات الفضائية أو الاتصالاتية. بهدف تقريب المسافات، وإزالة الحواجز العرقية، والدينية، والجغرافية بين الأفرادِ والشعوبِ والدولِ. غير أنّ الحضارة المعاصرة لم تقدم كل هذه التقنيات خدمة للبشرية، ولا ابتغاء وجه الله تعالى، ولعل ما يدلل على ذلك أنّها لا دينية في مظهرها وتطبيقاتها وممارساتها، بعيدة كل البعد عن روح الدين وخصائصه. فهي تدعوا إلى جمع شمل الأجناس البشرية، وانجازاتها المختلفة في مظلة كونية واحدة، تتجاوز حدود الأعراق والأديان والثقافات، تحت مسمى وحدة الأديان(٢٦٣).

بدعوى أنْ هذه الوحدة ضرورة لا بد من سلوك طريقها، حيث إنّها الطريق الوحيد " للوصول إلى السلام العالمي، وأنَّ التمسك بالأديان يؤدي بالضرورة إلى البغض، والتفرُّق، والتشرذم، وقيام الحروب ونشر العداوات"(٢٦٤). كل ذلك تحت دعوى تحقيق كيان بشري واحد، عوضًا عن البشريات المتعددة. وجعلها حضارة إنسانية واحدة بدلًا عن حضارات متعددة منفصلة.

نعم إنّ هذه الدعوة تشبه في فكرتها دعوة نبي الله نوح عليه السلام فدعوة نوح فيها التوحيد لله تعالى، وفيها التوحد، وجمع الكلمة؛ لما في ذلك من التعارف والتقارب،

والمنافع والمصالح، فضلًا عن ضمان سعادة الدنيا والآخرة، دون أنْ يكون هناك أي أيديولوجيات سياسة أو اقتصادية.

أما دعوة الحضارة المعاصرة(الغربية) فهي دعوة متشبعة بالأيديولوجيات التي تعج بالأهداف والغايات اللاإنسانية الدنيئة، التي تجنح إلى المصلحة، دون النظر إلى أي اعتبارات، أو أية مبادئ أو قيم تحكمها. فالحضارة الحديثة بما فيها من تقنيات حديثة، واتجاهاتها الإلحادية الاتجاه والهدف، غايتها التسلل إلى عقول وقلوب البشر منْ دونِ استئذان، ولا رقيب دولي. فهي تنحو باتجاه جاد إلى محو ذاكرة الشعوب، وإفراغها من انتماءاتها، وأصالتها، وأنظمتها الاجتماعية والدينية.

مما سبق يتبين لنا، أنَّ الفلسفة القائلة بوحدة الأديان فلسفة باطلة، ذلك لأنّها لا تسعى إلى ما تنادي به من نشر السلام العالمي، والمثل العليا، ونشر روح الحب والإخاء البشري، وقبول الآخر المخالف، وإنّما " غاياتها بث روح الدعوة الإلحادية، وطمس معالم الدين، وتغيير الفطرة في العالم الإسلامي، والتمهيد مع التأصيل لفكرة المساواة بين الإسلام وغيره من الأديان، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ..**﴾[٢٦٥]. كذلك لا يستوي الإسلام ولا الكفر، ولا الشرك ولا التوحيد، ولا السنة ولا البدعة" [٢٦٦].

الخاتمة

أولًا : أهم النتائج

من خلالِ دراسةِ موضوعِ القيمِ الحضارية، تبين لي بعض النتائج، هي:

- أكدَ البحثُ اشتراك كل الأنبياء والمرسلين في الدعوةِ إلى مجموعةِ القيمِ الحضاريةِ الإنسانية، التي تم ذكرها في ثنايا البحث، وهي: الصبر، الحكمة، الصدق، والأمانة، العلم، الإصلاح، الوسطية، التعايش السلمي مع الآخر، والتي لم يتم ذكرها من الصفاتِ الحميدة.
- أكدَ البحثُ أنّ القرآنَ هو كتابُ الإنسانيةِ المفتوح، بما يحمله من خيرٍ للبشريةِ جمعاء، فهو منهلها المورود، مهما تتابعت العصور، وتباعدت الأقطار، وتعددت الأجناس، وتنوعت الألوان واللغات واللهجات، وتفاوتت المشارب.

- أظهرَ البحثُ أنّ القرآنَ بما يحمله من أوامرٍ ونواهي هي في ذاتها قيم حضارية إنسانية، وكذا الرسالات السماوية السابقة عليه، جاءت بقيمٍ حضاريةٍ غير أنّها كانت تتناسبُ مع القومِ الذين أُنزلت عليهم، كما أنّ جميعَ الرسالاتِ تتساوى في القيمِ المرسلةِ بها، والتي جاءت بهدفِ نفعِ البشرية، وتقويمِ سلوكها، وإعادةِ توجيهها، وإصلاحِ شأنها.
- كشفَ البحثُ عنْ أنّ الإيمانَ قرينُ الأخلاقِ والقيمِ، لما له من دورٍ كبيرٍ في تهذيبِ السلوكِ، وتوجيهه نحو الصلاحِ والإصلاحِ، والفضائلِ، والأخلاقِ.
- أكدَ البحثُ أهميةَ قيمِ الحضارةِ الإنسانية في حياةِ البشرية؛ وذلك للأثرِ المترتبِ عليها من إصلاحِ الأحوالِ، وتبديلِ وتغييرِ العوائد؛ لذلك كان ولا بد منْ ضرورةِ التخلقِ بها، والعملِ بموجبها، وخصوصًا العاملين في حقلِ الدعوةِ إلى اللهِ تعالى.
- تستندُ الدعوةُ الإسلامية بجملتها على مجموعةِ القيمِ الحضاريةِ الإنسانية، في تعاملها مع الآخرِ المخالف، في العقيدةِ والفكرِ، والتي من بينها: الوسطية، التراحم، الصدق، الأمانة، المواطنة، التعايش السلمي معه عقيدة وسلوكًا.
- أكد البحث أنّ الحضارة الإسلامية حضارة نظرية عملية، فهي تُنظّر للقيمة ثم تعمل بها، أما الحضارة المعاصرة(الغربية) فهي حضارة نظرية فقط، فهي تُنظّر للقيمة ثم تعمل بخلافها.

ثانيًا: التوصيات:

في ضوءِ النتائجِ السابقةِ يمكن أنْ أسطرَ هذه التوصيات:

- يُوصي البحثُ الجهاتَ المختصة القيام بعملِ مجموعةٍ منْ الدورات، أو الندوات، أو المؤتمرات التثقيفية، وذلك لحث أبناءِ الإسلامِ على التحلي بكاملِ الصفاتِ الحضاريةِ الإنسانية، وبخاصة خطباء المنابر، والدعاة إلى اللهِ تعالى.
- ظهر لي منْ خلالِ البحثِ في موضوعِ **(القيم الحضارية في الخطاب القرآني)** وجود موضوع مكملٍ ومتممٍ للدراسةِ التي بين أيدينا، يمكن إفراده بالدراسةِ

والبحثِ، وذلك تحت عنوان: **القيم الحضارية في الخطاب القرآني لدعوة الأنبياء والرسل " أولو العزم من الرسل– عليهم السلام– أنموذجًا".**

١() هود، الآية، (٨٨).

٢() الأنبياء، الآية، (١٠٧).

٣() د. راغب السرجاني، الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، ص١.

٤() الأنعام، الآية، (٩٠).

٥() ابن سيده، المخصص، ٣/ ٣٣٤.

٦() الحجر، الآية، (٧٦) .

٧() الإسراء، الآية، (٩) .

٨() انظر: ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ١٠٩/٣.

٩() انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ٤٩٦.

١٠() انظر: د. عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ص٢٧١

١١() انظر: عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، ص٣٠.

١٢() فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي، ص٩٤.

١٣() انظر: فوزية دياب، العادات والقيم الاجتماعية، ص٢١.

١٤() انظر: عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، ص٣١.

١٥() انظر: محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، ص ١١٠.

١٦() انظر: الأخلاق النظرية، عبد الرحمن بدوي، ص٨٩.

١٧() د. عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ص٢٧٢.

١٨() انظر: د. إبراهيم رمضان الديب، أسس ومهارات بناء القيم التربوية، ص٣٣ .

١٩() انظر: ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص٢٩٩.

٢٠() عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص٩٢.

٢١() الماوردي، كتاب الحاوي الكبير،٣٨٠/١١.

٢٢() علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، ص ٣٤.

٢٣() انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٩٦/٤.

٢٤() انظر: د. محمد عمارة، الحضارة العالمية تدافع؟.. أم صراع؟؟، ص٢٥.

٢٥() ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص٢٥٩.

٢٦() د. عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص١٣.

٢٧() د. حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ص١٣.

٢٨() د. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، وموجز عن الحضارات السابقة، ص٢٠.

٢٩() أحمد مرسي، الفولكلور ومشكلات الحضارة المعاصرة، ص٢٠٤.

٣٠() نفس المرجع، ص٢٠٥.

٣١() د. عبد المجيد عمر النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص١٩.

٣٢() الإسراء، الآية، (٧٠).

٣٣() الألوسي، روح المعاني، ١١٧/١٥.

٣٤() انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ٣/ ١٧٥.

٣٥() البقرة، الآية، (٣٠).

٣٦() القصص، الآية، (٥٨).

٣٧() ابن عجيبة (١١٦٠ – ١٢٢٤هـ/ ١٧٤٧ – ١٨٠٩م) أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجينة، الحسني: مفسر صوفي مشارك. من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) في أربعة مجلدات ضخام. انظر: الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٤٥.

٣٨() ابن عجيبة، البحر المديد، ٥/ ٤٢٤.

٣٩() الربَّانيّة: اسم مؤنَّث منسوب إلى رَبّ: على غير قياس، مصدر كلمة ربانية: مصدر صناعيّ من رَبّ. وقد اختلف علماء اللغة في معاني كلمة (الرَّبَّانيّة) بحسب نوع الاشتقاق التي تعود إليه، إلى عدة معاني منها: الرَّبِّيُّ: وهو المنسوب إلى الرَّبِّ. ومنه الرَّبَّانِيُّ، والرَّبَّانِيُّ: الموصوف بعلم الرب، وقيل: الحبر، ورب العلم، وقيل: العالم المعلم، وقيل العالم الرَّاسِخُ في العِلم والدين، وقيل: يطلب بعلمه وجه الله، وقيل: العالِم العامِلُ المُعَلِّمُ، وقيل: العالي الدَّرجةِ في العِلمِ. وقيل: العالم بالحلال، والحرام، والأمر والنهي. وقيل: الذي يعبد الرب، والكامل العلم والعمل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٤٠٣ ، ٤٠٤، أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/ ٨٤٢، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ١/ ٣٢١.

٤٠() أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ٣٣٧/١.

٤١() د. علي محمد الصلابي، السيرة النبوية دروس وعبر، ٧٣/١.
٤٢() الشاطبي، الموافقات، ٥/١.
٤٣() النساء، الآية، (٢٩) .
٤٤() الأنعام، الآية، (١٥١) .
٤٥() البقرة، الآية، (٢١٩) .
٤٦() أخرجه أحمد في مسنده، باب(حديث أم سلمة زوج النبيﷺ)، برقم، ٢٦٦٧٦، ٣٠٩/٦، أبو داود في سننه، باب(النهي عن المسكر)، برقم، ٣٦٨٦، ٢/ ٣٥٤، البيهقي في سننه، باب(ما أسكر كثيره فقليله حرام)، برقم، ١٧١٧٦، ٨/ ٢٩٦.
٤٧() البقرة، الآية، (٢٥٦) .
٤٨() الكهف، الآية، (٢٩) .
٤٩() الكافرون، الآية، (٦) .
٥٠() انظر: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي، ٥/ ١٥٣ وما بعدها.
٥١() المائدة، الآية، (٣) .
٥٢() توفيق محمد سبع، واقعية المنهج القرآني، ص٥٣.
٥٣() انظر: الزَّبيدي، تاج العروس، باب(خطب)، ٤٦٠/١.
٥٤() انظر: الرازي، مختار الصحاح، باب(الخاء)، ١٨٦/١.
٥٥() انظر: علي عبيد الحليم، فقه الدعوة إلى الله، ١/ ١٦٩.
٥٦() انظر: عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص١١٦.
٥٧() الأنبياء، الآية، (٢٥) .
٥٨() المائدة، الآية، (٤٨) .
٥٩() الأسس: الدعائم والركائز.
٦٠() الأنبياء، الآية، (٢٥) .
٦١() هود، الآيتان، (٢٥، ٢٦) .
٦٢() العنكبوت، الآية، (١٧) .
٦٣() الرعد، الآية، (١٦) .
٦٤() هود، الآية، (٥١) .
٦٥() الأنعام، الآية، (٩٠) .
٦٦() الأحزاب، الآية، (٢١) .

٦٧() الممتحنة، الآية، (٤) .

٦٨() الممتحنة، الآية، (٦) .

٦٩() النساء، الآية، (١٦٣).

٧٠() انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٢٨٥.

٧١() أخرجه الحاكم في المستدرك، ٤/ ١٢٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

٧٢() انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨٥/١.

٧٣() أخرجه البخاري في صحيحه، باب(قَوْلِ اللَّهِ: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، برقم، (٤٤٧٦)، ١٧/٦.

٧٤() انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٣٣٠.

٧٥() أخرجه الترمذي في سننه، باب(سورة الصافات)، برقم، (٣٢٣١)، ٥/ ٣٦٥. قال الألباني: ضعيف.

٧٦() الإسراء، الآية، (٣).

٧٧() الشنقيطي، أضواء البيان، ١٣/٣.

٧٨() أخرجه مسلم في صحيحه، باب(اسْتِحْبَابِ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ)، برقم، ٧١٠٨، ٨٧/٨.

٧٩() نوح، الآية، (٢٣).

٨٠() ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٧/١.

٨١() العنكبوت، الآية، (١٤).

٨٢() انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤٩/١.

٨٣() الأحزاب، الآية، (٧).

٨٤() الألوسي، روح المعاني،٢١/ ١٥٤.

٨٥() الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١٩/ ١١٩٤٢.

٨٦() هود، الآيتان، (٢٥، ٢٦).

٨٧() الأعراف، الآية، (٥٩).

٨٨() المؤمنون، الآية، (٢٣).

٨٩() نوح، الآيات، (١-٣).

٩٠() الأنبياء، الآية، (٢٥).

٩١() الشورى، الآية، (١٣).

٩٢() ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧/ ١٩٤.

٩٣() النساء، الآية، (٥٨).

٩٤() ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٣٨/٢.

٩٥() أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب: (مَا جَاءَ فِي التَّرْغِيبِ فِي أَدَاءِ الأَمَانَاتِ)، برقم، (١٢٤٧٤)،٢٨٨/٦.

٩٦() ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦/ ١٥١.

٩٧() ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ٥٦/١٥.

٩٨() علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، برقم، (٥٥٠٥)، ٣/ ١٣٥.

٩٩() أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (رَفْعِ الْأَمَانَةِ)، برقم، (٦٤٩٧)، ٨/ ١٠٤.

١٠٠() ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ٢٠٦/١٠.

١٠١() ابن العثيمين، شرح رياض الصالحين، ٢/ ٤٧٣.

١٠٢() أخرجه البخاري في صحيحه، باب: (رَفْعِ الْأَمَانَةِ)، برقم، (٦٤٩٦)، ٨/ ١٠٤.

١٠٣() أخرجه ابن ماجة في سننه، باب:(الصبر على البلاء)، برقم، (٤٠٣٦)، ١٣٣٩/٢. قال محمد فؤاد عبد الباقي: (صحيح).

١٠٤() علي الأمين المزروعي، دراسات عالمية القيم الإسلامية والقيم الغربية، ص١٠، ١١.

١٠٥() البقرة، الآيات، (١٥٥– ١٥٧).

١٠٦() الألوسي، روح المعاني، ٢/ ٢٢.

١٠٧() أخرجه البخاري في صحيحه، باب: مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ الْمَرَضِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}، برقم، (٥٦٤٤)، ٧/ ١١٥.

١٠٨() الأحقاف، الآية، (٣٥).

١٠٩() صالح بن فوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ٢/ ٨٠.

١١٠() نفس المرجع، ٢/ ٨٠.

١١١() الأحقاف، الآية، (٣٥).

١١٢() نوح، الآية، (٨، ٩).

١١٣() نوح، الآية، (٥).

١١٤() نوح، الآيتان، (٦، ٧).

١١٥() تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٨٨٨.

١١٦() هود، الآية، (٣٦).

١١٧() ابن عجيبة، البحر المديد، ٣/ ٢٩٠.

١١٨() النحل، الآية، (١٢٥) .

١١٩() ابن عاشور: محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور: أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين في تونس. مولده ووفاته بها. تُوفي عام(١٣٩٣هـ). طُبع من كتبه (تفسير التحرير والتنوير)، (أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي)، (أركان الحياة العلمية بتونس)، (أركان النهضة الأدبية بتونس)، (التفسير ورجاله). انظر: الزر كلي، الأعلام، ٦/٣٢٥، ٣٢٦.

١٢٠() ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣/ ٢٦٦.

١٢١() نوح، الآيات، (٢- ٤) .

١٢٢() نوح، الآيات، (١٠- ١٢).

١٢٣() نوح، الآية، (٥).

١٢٤() نوح، الآيتان، (٨، ٩).

١٢٥() العنكبوت، الآية، (١٤) .

١٢٦() انظر: د. حمادة ربيع، سنة الاستبدال في القرآن الكريم، ص٥٤٠.

١٢٧() نوح، الآية، (١٤) . وقد خلقكم أطوارًا : " أي نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم نكسوا العظام لحمًا، فإذا هو إنسان كامل" . أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ٤/٤٦٩.

١٢٨() المؤمنون، الآيات، (١٢- ١٤). انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ٤/ ٢٧٠، ٢٧١.

١٢٩() انظر: د. حمادة ربيع، سنة الاستبدال في القرآن الكريم، ص٥٤١.

١٣٠() أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ٥/٥٢٠.

١٣١() د وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، ٢٩/ ١٤٤.

١٣٢() نوح، الآيات، (٢١-٢٣) .

١٣٣() البقرة، الآية، (٢٦٩) .

١٣٤() البغوي، معالم التنزيل، ١/٣٣٤.

١٣٥() ابن القيم، مدارج السالكين، ١/ ١٧١.

١٣٦() ليوبولد فايس، صحفي نمساوي يهودي، دخل الإسلام، وتسمى باسم محمد أسد، أشهر مؤلفاته : الإسلام في مفترق الطرق، الطريق إلى مكة، أنظر: محمد أسد، في الطريق إلى مكة.

١٣٧() د. حمادة ربيع، القرآنيون وتفسير القرآن، ص٢٢.

١٣٨() محمد إقبال، ديوان جناح جبريل، ص٤١.

١٣٩() د. مها بنت جريس الجريس، أسس النقد الإسلامي للحضارة الغربية، ص١٢٦٨.

١٤٠() د. عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، ص٧٩.

١٤١() نفس المرجع، ص٧٩.

١٤٢() انظر: د. مها بنت جريس الجريس، أسس النقد الإسلامي للحضارة الغربية، ص١٢٦٦.

١٤٣() الشيخ عبد الواحد يحيى، د. زينب عبد العزيز، مقالات من رينيه جينون، ص١١٦.

١٤٤() الذاريات، الآية، (٥٦) .

١٤٥() السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٨١٣.

١٤٦() الحديد، الآية، (٢٥).

١٤٧() الألوسي، روح المعاني، ١٨٨/٢٧.

١٤٨() الأعراف، الآية، (٥٩).

١٤٩() د. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ٨٣/٨.

١٥٠() النحل، الآية، (٩٠).

١٥١() د. حمادة ربيع، الإيجابية العقدية والسلوكية في القرآن الكريم، ص١٣٥.

١٥٢() النحل، الآية، (٧٦).

١٥٣() صالح حصين، العلاقات الدولية، ص٣٥.

١٥٤() المائدة، الآية، (٨).

١٥٥() المائدة، الآية، (٢).

١٥٦() البغوي، معالم التنزيل، ٩/٢.

١٥٧() انظر: صالح حصين، العلاقات الدولية، ص١٣- ١٤.

١٥٨() نفس المرجع، ص١٥.

١٥٩() مراد هوفمان، الإسلام عام ٢٠٠٠، ص٢٦.

١٦٠() صالح حصين، العلاقات الدولية، ص١٥.

١٦١() نفس المرجع، ص١٧.

١٦٢() النحل، الآية، (٩٠).

١٦٣() انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٩١/١.

١٦٤() العلق، الآية، (١).

١٦٥() انظر: د. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ٢٩/ ٦٤١.

١٦٦() الزمر، الآية، (٩).

١٦٧() الزمخشري، الكشاف، ٤/ ١١٨.

١٦٨() انظر: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٤٦٩- ٤٨١.

١٦٩() أخرجه البخاري في صحيحه، باب(قَوْلُهُ { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } تَوَّابٌ عَلَى الْعِبَادِ وَالتَّوَّابُ مِنْ النَّاسِ التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ)، برقم، (٤٩٧٠)، ٦/ ١٧٩.

١٧٠() فاطر، الآية، (٢٨).

١٧١() مجموعة من العلماء، التفسير الميسر، ص٤٣٧.

١٧٢() نوح، الآيات، (١٣- ١٦).

١٧٣() مجموعة من العلماء، التفسير الميسر، ص٥٧١.

١٧٤() ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٧٨، ٣٧٩.

١٧٥() نوح، الآيتان، (١٧، ١٨).

١٧٦() رشيد بن رضا، تفسير القرآن الحكيم، ٣٩٨/٨.

١٧٧() يونس، الآية، (٧١).

١٧٨() مجموعة من العلماء، التفسير الميسر، ص٢١٧.

١٧٩() هود، الآية، (٣١).

١٨٠() الشعراء، الآية، (١١١).

١٨١() الشعراء، الآية، (١١٥).

١٨٢() هود، الآيتان، (٣٨، ٣٩).

١٨٣() هود، الآيتان، (٤٢، ٤٣).

١٨٤() هود، الآية، (٤٥).

١٨٥() هود، الآية، (٤٦).

١٨٦() هود، الآية، (٤٧).

١٨٧() نوح، الآيات، (١٠- ٢٠).

١٨٨() الصافات، الآيات، (٧٩-٨١).

١٨٩() المجادلة، الآية، (١١).

١٩٠() انظر: مدونة د. مروة محمد الباز، نقلًا عن دراسة كلٍ من، رمضان الطنطاوي , ١٩٩٨م, ص٥١٣، عفت الطناوي, ١٩٩٩م, ص١١٢.

١٩١() انظر: مدونة د. مروة محمد الباز.

١٩٢() والمراد: جهلهم بالله تعالى وسننه في خلقه، وذلك أنّهم عند إرادة الحكم على شيء أو قراءة شيء ما، فحكمهم وقراءتهم لا تكون وفقًا لمنهج الله تعالى، وإنّما تكون وفقًا للأهواء الشخصية، والمصلحة الآنية. لذلك يأتي الحكم لصالح أهوائهم.

١٩٣() انظر: علي الأمين المزروعي، دراسات عالمية القيم الإسلامية والقيم الغربية، ص٧.

١٩٤() انظر: نفس المرجع، ص٧.

١٩٥() انظر: مدرسون في المعهد الفرنسي لعلم الحرب، الحروب والحضارات، ص (ث).

١٩٦() نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٦/ ٣٦٢.

١٩٧() نوح، الآية، (٣).

١٩٨() مجموعة من العلماء، التفسير المسير، ص٥٧٠.

١٩٩() هود، الآية، (٢٦).

٢٠٠() السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٨٠.

٢٠١() الماركسية: منظومة من الآراء الفلسفية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، التي تشكل رؤية العالم. تأسست على يدي ماركس وأنجلز. مكوناتها المترابطة عضويًا، المادية الجدلية، والمادية التاريخية، والاقتصاد السياسي، والشيوعية العلمية. انظر: د. عبد الوهاب المسيري، د. فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، ص٣٦٠، ٣٦١.

٢٠٢() العلمانية: " هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها؛ وذلك أنّه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت السيكيوليرزم(Secularism) تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية؛ حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية وبإمكانية تحقيق مطامعهم في هذه الدنيا القريبة، وظل هذا الاتجاه يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية" .Ency. Britannica vo1 IXP.19. كما أنّها تعني حرفيًا (الدنيوية)، أو المذهب الدنيوي. انظر: قاموس المورد، منير البعلبكي. وفي المعجم الوسيط: العلمانية مشتقة من العلم بمعنى العالم أو الدنيا، والعلماني هو خلاف الديني أو الكهنوتي". مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ١٩٦١م.

٢٠٣() الوجودية: مذهبٌ يقومُ على إبرازِ الوجودِ وخصائصهِ، وإعطاءِ الأهميةِ الفلسفيةِ للوجودِ الفردي، كما هو معاش، والتفكير به تفكيرًا فعالًا، وجعله سابقًا على الماهية. انظر: أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ٣٨٧/١، مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص٢١١.

٢٠٤() الحداثةُ: " إنّها قبلَ كلِ شيء: العقلانيةُ، والديمقراطيةُ، والتعاملُ العقلاني النقدي (مع جميعِ مظاهرِ حياتنا – والتراث من أشدِه حضورًا ورسوخًا– هو الموقف الحداثي الصحيح، وإذن فالحاجةُ إلى الاشتغالِ بالتراثِ تُمْليها الحاجة إلى تحديثِ كيفيةِ تعاملنا معه، خدمة للحداثة وتأصيلًا لها " محمد عابد الجابري، التراث دراسات ومناقشات، ص١٨. ويقول عنها: د. محمد أحمد خلف: " لقد حرر الإسلام العقل البشري من سلطان النبوة، من حيث إعلان انتهائها كليةً وتخليص البشرية منها" سليمان بن صالح الخراشي، نظرات شرعية في فكر منحرف، ١/ ٢٢٣. نقلًا عن، د. محمد أحمد خلف، الأسس القرآنية للتقدم، ص٤٤.

٢٠٥() آل عمران، الآية، (٦٤).

٢٠٦() آل عمران، الآية، (٨٠).

٢٠٧() يوسف، الآية، (٤٠).

٢٠٨() الإسراء، الآية، (٧٠).

٢٠٩() الأعراف، الآيتان، (٦٢، ٦٣).

٢١٠() الألوسي، روح المعاني، ٨/ ١٥٢.

٢١١() أبو بكر الخلال، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٣٤.

٢١٢() أبو حامد الغزالي، التِبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص١١٣.

٢١٣() انظر: علي الأمين المزروعي، دراسات عالمية القيم الإسلامية والقيم الغربية، ص١٨.

٢١٤() انظر: نفس المرجع، ص١٩.

٢١٥() البقرة، الآية، (٢٠١).

٢١٦() أخرجه مسلم في صحيحه، باب(التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ)، برقم، (٧٠٧٨). ٨/ ٨١.

٢١٧() الفتح، الآية، (٢).

٢١٨() الشورى، الآية، (٥٢).

٢١٩() الشنقيطي، أضواء البيان، ٣١٩/٨.

٢٢٠() نوح، الآيتان، (٣، ٤).

٢٢١() نوح، الآيات، (١٠– ١٢).

٢٢٢() آل عمران، الآية، (١٥٩).

٢٢٣() هود، الآيتان، (٢٧، ٢٨).

٢٢٤() الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٦٤٣٤/١١.

٢٢٥() فصلت، الآية، (٣٤).

٢٢٦() أخرجه البخاري في صحيحه، باب(إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يُصَرِّحْ نَحْوَ قَوْلِهِ السَّامُ عَلَيْكَ)، برقم، (٦٩٢٦)، ٩/ ١٥.

٢٢٧() أخرجه مسلم في صحيحه، باب(فَضْلِ الرِّفْقِ)، برقم، (٦٧٦٧)، ٨/ ٢٢.

٢٢٨() ابن عجيبة، البحر المديد، ٥٠٤/٢.

٢٢٩() المعالم: جمع معلم، وهو في اللغة: الأثر الذي يُستدل به على الطريق، ومَعْلَم الطريق: دلالته، والمعْلَم: ما جُعل علامةً وعَلَمًا للطريق والحدود، مثل: أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه". ومعلم الطريق دلالته، وكذلك معلم الدين على المثل، ومعلم كل شيء مظنته، وفلان معلم للخير كذلك. انظر: الزَّبيدي، تاج العروس، فصل(السين)، ١/ ٨٤٤٣ ، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، باب مقلوبة (م ع ل)، ١/ ٢٦٤.

٢٣٠() الأعراف، الآيات، (٥٩-٦٢).

٢٣١() ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٣٠٥.

٢٣٢() الرازي، مفاتيح الغيب، ٣١/ ٣٧.

٢٣٣() الأعراف، الآية، (٦٠).

٢٣٤() محمد شحاتة محمود، القيم البلاغية وراء إجراء الخبر على غير مقتضى الظاهر، ص٢٧.

٢٣٥() انظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ١٨٠/٩.

٢٣٦() الزمخشري، الكشاف، ٢/ ١١٠، ١١١، أبو حيان، البحر المحيط، ٤/ ٣٢٧.

٢٣٧() الحجرات، الآية، (١٣).

٢٣٨() د. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، ١٩٧/٢٦.

٢٣٩() انظر: علي الأمين المزروعي، دراسات عالمية القيم الإسلامية والقيم الغربية، ص١٩.

٢٤٠() انظر: نفس المرجع، ص١٨.

٢٤١() ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص١٠٣.

٢٤٢() الحجرات، الآية، (١٣).

٢٤٣() أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب (مَنْ قَالَ الْأَضْحَى يَوْمُ النَّحْرِ)، برقم، ٥٥٥٠، ١٠٠/٧.

٢٤٤() أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب (حديث رجل من أصحاب النبيﷺ)، رقم، ٢٣٥٣٦، ج٥، ص٤١١، الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب (الحج)، باب(الخطب في الحج)، من رواية أبي

نضرة، مع زيادة في اللفظ. قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، برقم، ٥٦٢٢، ٣/ ٥٨٦.

٢٤٥() انظر: د. حمادة ربيع، معالم الصراع، ص١١٤٢.

٢٤٦() انظر: نفس المرجع، ص١١٤٢.

٢٤٧() د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مبادئ التعايش السلمي العالمي. منهجًا وسيرة، ص١.

٢٤٨() الشورى، الآية، (١٣).

٢٤٩() الألوسي، روح المعاني، ٢١/٢٥.

٢٥٠() المؤمنون، الآية، (٥١، ٥٢).

٢٥١() ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٩/١٢.

٢٥٢() هود، الآية، (٢٧).

٢٥٣() هود، الآية، (٢٩).

٢٥٤() الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٦٤٢٩/١٠.

٢٥٥() نفس المرجع، ٦٤٣١/١٠

٢٥٦() هود، الآية، (٣٠).

٢٥٧() انظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٣٦٩.

٢٥٨() الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٦٤٣٩/١١، ٦٤٤٠.

٢٥٩() نفس المرجع، ٨٥٤٦/١٤.

٢٦٠() الحجرات، الآية، (١٣).

٢٦١() الألوسي، روح المعاني، ١٦١/٢٦.

٢٦٢() د. مها بنت جريس الجريس، أسس النقد الإسلامي للحضارة الغربية، ص١٢٦٣.

٢٦٣() "وهذه المسميات إما أنْ تكون ذات صبغة عامة شاملة لجميع المذاهب والفرق والديانات . مثل العالمية، والدعوة العالمية، الدين العالمي، الديانة العالمية، عالمية الثقافة، التعايش بين الأديان، وحدة الدين الإلهي. وإما أنْ تكون مقصورة على الأديان الثلاثة، والمراد بها الإسلام، والنصرانية، واليهودية... وإما أنْ تكون ذات صبغة ثنائية، التوفيق بين الإسلام والنصرانية، تحت مسمى حوار الأديان، وهكذا. وأصحاب هذا المبدأ يرون أنَّ الأديان كلها – كتابية كانت أم وثنية – سواء، فلا فضل لدين على دين، والكل مهتد سائر على الطريق المستقيم وإنْ تعددت الطرق واختلفت المسالك". د. محمد حسين معلوي، وحدة الأديان، ص٩، ١٠.

وقد اعتبر المستشرق الإنجليزي، نيكولسون: أنَّ نظرية الحلاج- في الحلول والاتحاد- أمر يشي بوحدة العقيدة بين المسلمين وبين المسيحيين. انظر: أبو العلا عفيفي، في التصوف الإسلامي وتاريخه، طائفة من الدراسات قام بها رينولد نيكولسون، ص١٣٤.

٢٦٤() د. حمادة ربيع، معالم الصراع، ص١١١٦.

٢٦٥() فاطر، الآيات، (١٩-٢٢).

٢٦٦() د. حمادة ربيع، معالم الصراع، ص١١١٨.

المصادر والمراجع

أولًا: الكتب والرسائل العلمية

- ابن القيم، محمد. تحقيق: الفقي، محمد حامد. (١٩٧٣م). **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن بطال، علي بن خلف. تحقيق: القرطبي، ياسر بن إبراهيم.(٢٠٠٣م). **شرح صحيح البخاري**. ط٢. السعودية: مكتبة الرشد.
- ابن حنبل، أحمد. (د.ت). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. القاهرة: مؤسسة قرطبة.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن. (د.ت). **مقدمة ابن خلدون**. ط١. القاهرة: دار الشعب.
- ابن سيدة، علي. (د.ت). **المحكم والمحيط الأعظم**. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن سيدة، علي. تحقيق: جفال، خليل إبراهيم. (١٩٩٦م). **المخصص**. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن عادل، عمر. تحقيق: عبد الموجود، عادل أحمد. ومعوض، علي محمد. (١٩٩٨م). **اللباب في علوم الكتاب**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٩٧م). **التحرير والتنوير**. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. تقديم، بوسمة. (٢٠١١م). **مقاصد الشريعة الإسلامية**. بيروت: دار الكتاب اللبناني. القاهرة: دار الكتاب المصري.
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد الحسني. (٢٠٠٢م). **البحر المديد**. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، اسماعيل أبو الفداء. تحقيق: شيري، علي. (١٩٨٨م). **البداية والنهاية**. ط١. دار إحياء التراث العربي.
- ابن منظور، محمد. (د.ت). **لسان العرب**. ط١. بيروت: دار صادر.
- أبو حيان، محمد بن يوسف. تحقيق: عبد الموجود، عادل أحمد. ومعوض علي محمد. (٢٠٠١م). **تفسير البحر المحيط**. ط١. لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو خليل، شوقي. (٢٠٠٢م). **الحضارة العربية الإسلامية، وموجز عن الحضارات السابقة**. ط١. لبنان: دار الفكر المعاصر.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. تحقيق: عبد الحميد، محمد محيي الدين. (د.ت). **سنن أبي داود**. دار الفكر.
- الألوسي، محمود شهاب. (د.ت). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: الناصر، محمد زهير. (١٤٢٢هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه**. دار طوق النجاة.
- بدوي، عبد الرحمن. (١٩٧٦م). الأخلاق النظرية. ط٢. الكويت: وكالة المطبوعات.
- البعلبكي، منير. (١٩٧٧م). **قاموس المورد**. بيروت: دار العلم للملايين.

- البيهقي، أحمد بن الحسين. تحقيق: عطا، محمد عبد القادر. (١٩٩٤م). **سنن البيهقي الكبرى**. مكة: مكتبة دار الباز.
- بيومي، محمد.(١٩٩٠م). **علم اجتماع القيم**. ط١. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الترمذي، محمد بن عيسى. تحقيق: شاكر، أحمد محمد. (د.ت). **الجامع الصحيح سنن الترمذي**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- التويجري، محمد بن إبراهيم. (٢٠٠٩م). **موسوعة الفقه الإسلامي**. ط١. بيت الأفكار الدولية.
- الجابري، محمد عابد. (١٩٩١م). **التراث دراسات ومناقشات**. ط١. بيروت: مركز دراسات الوحدة المربية.
- الجزائري، جابر بن موسى. (١٩٩٠م). **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. ط٣. السعودية: راسم للدعاية والإعلان.
- حصين، صالح. (٢٠٠٨م). **العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة**. ط١. مكتبة العبيكان.
- الخراشي، سليمان بن صالح. (٢٠٠٨م). **نظرات شرعية في فكر منحرف**. ط١. رواد للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخلال، أبو بكر. تحقيق: سلمان، مشهور حسن.(١٩٩٠م). **كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**. ط١. بيروت: المكتب الإسلامي.
- خليل، أحمد خليل. (٢٠٠١م). **موسوعة لالاند الفلسفية**. ط٢. بيروت، وباريس: منشورات عويدات.
- خليل، عماد الدين. **مدخل إلى الحضارة الإسلامية**. ط١. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- دياب، فوزية. (د.ت). **العادات والقيم الاجتماعية**. ط١. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

- الديب، إبراهيم رمضان. (٢٠٠٦م). **أسس ومهارات بناء القيم التربوية وتطبيقاتها في العملية التعليمية**. ط١. (د. ن).
- الرازي، محمد بن عمر. (٢٠٠٠م). **مفاتيح الغيب. بيروت:** دار الكتب العلمية.
- رضا، محمد بن رشيد. (١٩٩٠م). **تفسير القرآن الحكيم**. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس. (د. ن).
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (١٤١٨هـ). **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. ط٢. دمشق: دار الفكر المعاصر.
- الزركلي، خير الدين بن محمود. (٢٠٠٢م). **الأعلام**. ط١٥. دار العلم للملايين.
- الزمخشري، محمود. تحقيق: المهدي، عبد الرزاق. (د.ت). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- سبع، توفيق محمد. (١٩٨٣م). **واقعية المنهج القرآني**. دار المختار للنشر والتوزيع.
- السرجاني، راغب. **الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية**. (د. ن).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: اللويحق، عبد الرحمن بن معلا. (٢٠٠٠م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. (د. ن).
- السيد، فؤاد.(١٩٥٤م). **علم النفس الاجتماعي**. ط١. دار الفكر العربي.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٧٤م). تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل. الإتقان في علوم القرآن. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الشاطبي، أبو إسحاق. تعليق: دراز (٢٠٠٦م). **الموافقات في أصول الشريعة**. ط٢. مكتبة الأسرة.
- شحاته، محمد. (٢٠٠١م). **القيم البلاغية وراء إجراء الخبر على غير مقتضى الظاهر**. رسالة ماجستير غير منشوره. كلية الآداب. جامعة المنيا.
- الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). **تفسير الشعراوي**. قطاع الثقافة، أخبار اليوم.
- الشنقيطي، محمد الأمين. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. (١٩٩٥م). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
- الصلابي، علي. (د.ت). **السيرة النبوية دروس وعبر**. المنصورة: مكتبة الإيمان.
- طنطاوي، محمد سيد. (١٩٨٦م). **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. مطبعة السعادة.
- عبد الرحيم، حمادة ربيع. (٢٠١٤م). **القرآنيون وتفسير القرآن دراسة في المنهج والرؤية**. رسالة دكتوراه غير منشوره. كلية الآداب. جامعة المنيا.
- عبدالباقي، محمد فؤاد. (١٣٦٤هـ). **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. القاهرة: دار الحديث، مطبعة دار الكتب المصرية.
- عبيد، علي. (د.ت). **فقه الدعوة إلى الله**. دار الوفاء للطباعة والنشر.
- العثيمين، محمد بن صالح.(١٤٢٥هـ). **شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**. المملكة العربية السعودية: دار الوطن للنشر.
- عفيفي، أبو العلا. (١٩٤٧م). **في التصوف الإسلامي وتاريخه، طائفة من الدراسات قام بها، رينولد نيكولسون**. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- عمارة، محمد. (١٩٩٨م). **الحضارة العالمية تدافع؟.. أم صراع؟؟**. ط١. مصر: نهضة مصر.
- العوا، عادل.(١٩٨٦م). **العمدة في فلسفة القيم**. ط١. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- الغزالي، أبو حامد. (د.ت). **التِّبر المسبوك في نصيحة الملوك**. دار الكتب العلمية.
- الفوزان، صالح بن فوزان. (د.ت). **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**. مؤسسة الرسالة.
- فوهمان، مراد. **الإسلام عام ٢٠٠٠**. (د.ت). (د. ن).
- الماوردى، أبو الحسن.(د.ت). **كتاب الحاوى الكبير**. بيروت: دار الفكر.
- مجمع اللغة العربية. (١٩٨٣م). **المعجم الفلسفي**. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
- مجمع اللغة العربية، (١٩٦١م). **المعجم الوسيط**. مصر: مطبعة مصر.
- مجموعة من العلماء، إشراف: التركي. (د.ت). **التفسير الميسر**. (د. ن).
- مختار، أحمد. (٢٠٠٨م). **معجم اللغة العربية المعاصرة. ط١**. القاهرة: عالم الكتب.
- مدرسون في المعهد الفرنسي، ترجمة: عبد الكريم. (١٩٩٢م). **الحروب والحضارات**. ط٣. فرنسا: إصدار المؤسسة الفرنسية لدراسات الدفاع الوطني.
- المزروعي، علي الأمين. (د.ت). **دراسات عالمية القيم الإسلامية والقيم الغربية**. العدد٢١. الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- المسدي، عبد السلام. (د.ت). **الأسلوب والأسلوبية**. ط٣. الدار العربية للكتاب.

- المسيري، عبد الوهاب والتريكي. (٢٠٠٣م). **الحداثة وما بعد الحداثة**. ط٢. دمشق: دار الفكر.
- المسيري، عبد الوهاب. (٢٠٠٦م). **دراسات معرفية في الحداثة الغربية**. ط١. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- مصطفى، إبراهيم. تحقيق: مجمع اللغة العربية. (د.ت). **المعجم الوسيط**. القاهرة: دار الدعوة.
- مصطفى، علي. (١٩٨٠م). **القيم الإسلامية والتربية**. ط١. بيروت: دار طيبة.
- المطعني، عبد العظيم. (١٩٩٦م). **مبادئ التعايش السلمي العالمي. منهجًا وسيرة**. القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي.
- معلوي، سعيد محمد. (١٤٣١هـ). **وحدة الأديان في عقائد الصوفية، مع مقدمة عن الدعوة إلى وحدة الأديان في الديانات الوضعية والكتابية والفرق الباطنة وبين من ينتسب إلى الإسلام في العصر الحديث**. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون.
- مؤنس، حسين. (١٩٧٨م). **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**. ط١. عالم المعرفة.
- النجار، عبد المجيد. (٢٠٠٠م). **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل**. ط٣. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- النجار، عبد المجيد. تحقيق: عميران. (١٩٩٩م). **فقه التحضر الإسلامي**. ط١. دار الغرب الإسلامي.
- النيسابوري، الحاكم. إشراف: المرعشلي. (د.ت). **المستدرك على الصحيحين**. لبنان: دار المعرفة.
- النيسابوري، نظام الدين. تحقيق: عميران، زكريا. (١٩٩٦م). **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. ط١. لبنان: دار الكتب العلمية.

- الهندي، علي. (١٩٨٩م). **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الهيثمي، نور الدين. (١٤١٢هـ). **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. بيروت: دار الفكر.

ثانيًا المجلات العلمية

- إقبال، محمد. ترجمة: الحفناوي. مراجعة: علاء الدين. (د.ت). **ديوان جناح جبريل**. العدد (٥٦١).
- الباز، مروة محمد. (يناير ٢٠١٢م). **مدونة د. مروة محمد الباز**. جامعة بورسعيد. كلية التربية.
- الجريس، مها بنت جريس. (٢٠١٩م). **أسس النقد الإسلامي للحضارة الغربية وخصائصه دراسة تطبيقية على نقد بعض مفكري القرن العشرين**. جامعة المنيا. كلية دار العلوم.
- عبد الرحيم، حمادة ربيع. (٢٠٢٢م). **الإيجابية العقدية والسلوكية في القرآن الكريم**. جامعة المنيا. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. مجلد ٩٤، العدد(١).
- عبد الرحيم، حمادة ربيع. (يوليو ٢٠٢٢م). **سنة الاستبدال في القرآن الكريم " دراسة موضوعية**. جامعة جنوب الوادي. مجلة كلية الآداب بقنا. العدد(٥٦).
- عبد الرحيم، حمادة ربيع. (يونيو ٢٠٢١م). **معالم الصراع وغاياته في القرآن الكريم**. جامعة المنيا. مجلة الدراسات العربية. كلية دار العلوم. المجلد ٤٤، العدد(٣).
- مرسي، أحمد. (يونيو ١٩٧٢م). **الفولكلور ومشكلات الحضارة المعاصرة**. مجلد(٣)، العدد(١).

Abstract:

Civilizational values in the Qur'anic discourse to the prophets' and messengers' call
" Noah,Allah's prophet is a model "

Hamada Rabie Abdel Hakim Abdel Rahim
Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, Minia University, Minia, Egypt
Email: hamada12@mu.edu.eg

Abstract:

The Holi Qur'an is the valuable book of Allah Almighty, the open book of humanity, and its source of resources, no matter how far apart the countries are, the succession of ages, the multiplicity of races, colors, and languages, and the varied stripes and tendencies.

In addition, all the heavenly messages are the values of civilization and human civilization, which came to benefit humanity, and to correct its behavior. Because of their impact in reforming conditions and switching returns. Therefore, it was urgent to create these cultural values, and to work with them.

Especially those working in the field of calling to Allah Almighty, and all the prophets and messengers participated in a set of these civilized values, starting from the father of mankind Noah - peace be upon him - until the seal of the prophets and messengers Allah bless him and his family.

Keywords:

Civilized values, truthfulness , honesty, wisdom, patience, moderation, positivity, science, peaceful coexistence.